كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

مـــن أبنية جموع القلة
أفعلة وفعلة
دراسة دلالية في ضوء النظم القرآني

دكتور

أحمد حسن حسين أبوعناية

مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الواحد والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٢م)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونصلي ونسلم علي الرسول الأعظم والنبي الخاتم سيدنا محمد النبي الأمى معلم الناس الخير ، وعلي أله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

وبعد

فالقرآن الكريم كلام الله المبين ، ومعجزة رسوله الكريم ، تحدى به أساطين البلاغة ، وأرباب الفصاحة ، وأعلام البيان ، ولا يزال هذا الكتاب المقدس والوحى المرتل معينًا لا ينضب لكثير من الدراسات المنوطة به ، كيف لا وقد احتوى في نظمه وأسلوبه ، وألفاظه ، وتراكيبه علي نسق من النظم والبيان أعجز عن الإتيان بأقصر سورة منه .

والإعجاز البياني للنظم القرآنى دائم متجدد لا تنقضي عجائبه ، ولا تفنى محاسنه وفوائده ، يستوى في ذلك ما كان سر الإعجاز فيه جملة النظم والتركيب أو كان الإعجاز علي مستوى الكلمات والمفردات اللغوية .

ومما لاشك فيه أن كل مفردة جاءت في النظم العزيز إنما وضعت وضعا مقصودًا في مكانها المناسب الذي لا يصلح فيه غيرها ، وأن كل تغيير يعتري المفردة القرآنية في السياق إنما جاء لقصد ينبغى البحث عنه واستظهاره [١] .

ولا يخفي ما للفظة القرآنية من دلالة عامة ، وما يكمن وراء هذه الدلالة من دلالات أخرى تستفاد من سياق الآية وحدها ، ومن سياقها الممتد في السورة كلها وبضم هذه الدلالات المتعددة تتصاعد وتتوافر دلالات كثيرة تبرز جمال النظم وروعة بيانه .

---

(١) ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآنى د / فاضل صالح السامرائي ٦ .

ومن هذا المنطلق كان اختياري لهذا البحث الذي أحاول فيه الوقوف علي المكتسبات الدلالية لاستعمال النظم القرآنى لبناءين من أبنية جموع القلة وهما " أفعلة ، وفعلة " ، وقد كنت عازمًا علي استقصاء الأغراض الدلالية لأبنية جموع القلة كلها في التنزيل العزيز ، إلا أننى وجدتها من الكثرة بحيث لا يتسع لها هذا البحث ، لذا اقتصرت في الدراسة علي هذين البناءين مؤملاً أن يتسع الوقت لدراسة البناءين الآخرين من جموع القلة القرآنية .

ولست أزعم هنا أننى أول من حاول دراسة الجموع القرآنية ، فقد سبقتنى إلي ذلك دراسات متعددة ، وقد وقفت علي بعض منها فوجدتها إما أنها تشير إلي مواضع جموع القلة في التنزيل العزيز ، وإما أنها تقف عند حدود الجمع لألفاظ هذه الجموع القرآنية ، دونما عناية بالغوص في إدراك أسرار اختيار النظم القرآنى لهذه الجموع دون غيرها .

فكان هذه البحث الذي أحاول فيه استشراف لطائف التنزيل العزيز في استعمال أبنية جموع القلة خاصة بنائي " أفعلة وفعلة " بهدف الكشف عن سر إيثار النظم القرآنى لهذين البناءين ، ومدى تلاؤم ذلك الاختيار مع المفردات المكونة للآية ، والمكتسبات الدلالية التى يضيفها الجمع من خلال السياق ، فجاء هذا البحث بعنوان :

" من أبنية جموع القلة " أفعلة وفعلة "
دراسة دلالية في ضوء النظم القرآنى

وقد تحددت دوافع اختياري لهذا الموضوع في أسباب أجملها في الآتى :

أولاً : البحث في وجوه الإعجاز القرآنى عامة ، و البيانى منه خاصة من الدين لتعلقه بذلك النظم المعجز الذى هو برهان النبوة ، وحجة الله علي خلقه [١]

ثانياً : تضمن الذكر الحكيم العديد من الألفاظ المجموعة علي بنائي " أفعلة وفعلة " والتي لاشك جاءت مسوقة لأغراض متنوعة كان دافعًا إلي بحثها بغية الوقوف علي أغراضها الدلالية ومدى تلاؤمها مع الدلالة العامة للآية الواردة فيها .

ثالثًا : عدم وجود بحوث متخصصة تعنى ببيان الأسرار الدلالية الكامنة وراء استعمال النظم القرآنى لهذين البناءين من جموع القلة فضلا عن جميع أبنية القلة.

(١) ينظر : خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى د / محمد محمد أبو موسي . ٧

منهج البحث

ينحصر المنهج الذي سرت عليه في بحثى هذا في نقاط علي النحو التالي :

١ . حصر جموع القلة الموازنة لبنائي " أفعلة وفعلة " في التنزيل العزيز حصراً عدديًا ، وتقسيمها تبعًا لأوزانها المختلفة .

٢ . تصنيف بنائي القلة " أفعلة وفعلة " في مبحثين يندرج تحت كل منهما نماذج للجموع القرآنية الواردة عليهما .

٣ . الدراسة العلمية لهذه الجموع والتقاط النكات والمقاصد الدلالية من استعمالها ، مع ربط ذلك كله بسياق الآية ومفرداتها الداخلية ومعناها .

هذا وقد جاء البحث مكونًا من مقدمة وتمهيد ومبحثين ، ثم خاتمة وفهارس فنية :

ففي المقدمة : تحدثت عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وطريقة معالجته والسير فيه .

التمهيد : وعنوانه " جموع القلة " تعريف وبيان "

تحدثت فيه عن أنواع الجموع في العربية ، مع عناية خاصة بجمع القلة من حيث أوزانه وما يطرد في كل وزن .

المبحث الأول : الجمع الموازن " أفعلة " ونماذجه القرآنية .

تناولت فيه بالدراسة والتحليل ألفاظ الجموع القرآنية الواردة علي هذا البناء عن طريق التحليل اللغوى للفظ الجمع ، والمعطيات الدلالية له في الآية مناط البحث .

المبحث الثانى : الجمع الموازن " فعلة " ونماذجه القرآنية

وضمنته ألفاظ الجموع القرآنية الواردة على بناء " فعلة " مع دراستها دراسة تحليلية دلالية .

الخاتمة : وعرضت فيها لأهم النتائج التى أسفر عنها البحث .

الفهارس الفنية : وجاءت في مؤخرة البحث كاشفة عن مضمونه ومحتواه ، وتضمنت فهرسًا للمصادر والمراجع ، وآخر لموضوعات البحث .

وبعد ... فما كان من توفيق فبفضل الله ورحمته ، وما كان من خلل أو نقص فمن عندى وما أبرئ نفسي ، وحسبي أنى أخلصت النية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث / أحمد حسن حسين أبو عناية

التمهيد

جمــوع القــلة في العربية " تعريف وبيان "

الكلمة في اللغة العربية من حيث الإفراد وعدمه أقسام ثلاثة :

أولهــا : المفرد :

ويحد بأنه اللفظ الدال علي واحد أو واحدة [١] مذكرًا كان أو مؤنثًا ، معرفًا كان أو منكرًا ، نحو : رجل ، وزيد ، وهند ، وفرس ، وهو سابق علي القسمين التاليين له [٢]

الثانى : المثنى :

ويعرف بأنه : ما دل علي اثنين أو اثنتين بزيادة في آخره صالح للتجريد منها وعطف مثله عليه [٣] ، كما يعرف أيضًا بأنه : ما وضع لاثنين وأغنى عن المتعاطفين [٤] نحو الرجلان ، والهندان ، والزيدان ..الخ .

الثالث : الجمع :

وهو اللفظ الدال علي أكثر من اثنين أو اثنتين، وهو نوعان :

---

(١) ينظر : الموجز في قواعد اللغة العربية ١ / ١٤٢ .

(٢) إنما تقدم المفرد علي المثنى والمجموع ؛ لأن الإعراب فيه علي الأصل في الإعراب وهو الحركات بخلاف تالييه فيعربان بالحروف النائبة عن الحركات . ينظر : شرح الأشمونى٣١/١ .

(٣) ينظر : أوضح المسالك ١/ ٥٠ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٥٦ ، وهمع الهوامع ١ / ١٤٥ ، ودور اللهجة في التقعيد النحوى في ضوء همع الهوامع د/ علا اسماعيل الحمزاوى٧/١ .

(٤) ينظر : أوضح المسالك ١ / ٥٠ ، والنحو الوافي ١ / ٩٦ .

الأول : جمع التصحيح

ويسمى جمع السلامة وهو : ما سلم فيه بناء الواحد ، وسمى كذلك لسلامة صيغة المفرد فيه من التغيير[١] ، وهو أيضًا نوعان :

أ ـ جمع السلامة للمذكر :

وهو ما دل علي أكثر من اثنين بزيادة واو ونون في حالة الرفع ، أو ياء ونون في حالتى النصب والجر[٢] .

ب ـ جمع السلامة للمؤنث :

وهو ما دل علي أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء في آخره نحو : الطالبات ، والهندات ، ومسلمات ...الخ ، ويسمى لدى قدامى النحويين بـ " المجموع بالألف والتاء المزيدتين " ، وهذه التسمية أجود ؛ لأن بعض المفردات التى تجمع هذا الجمع ليست مؤنثة كـ " سرادق واصطبل " ونحوهما ، كما أن بعض المفردات فيه يتغير فيها بناء الواحد نحو " سجدة وسجدات " [٣].

الثانى : جمع التكسير أو الجمع المكسر :

وهو ما تغير فيه بناء واحده ، أو هو ما دل علي أكثر من اثنين أو اثنتين بتغيير ظاهر أو مقدر، والتغيير الذي يصيب المفرد في هذا الجمع ستة أنواع :

١ ـ تغيير بالشكل ليس غير نحو " أسد وأسد "

---

(١) ينظر : الأصول لابن السراج ١ / ٤٦ ، واللباب للعكبري ١/ ١١٢ ، والتعريفات للجرجانى ١٠٥ ، وشرح الأشمونى ١ / ٣٧ ، و النحو الوافي ١ / ١٣٧ .

(٢) ينظر : الهمع ١ / ١٦٦ ، والنحو الوافي ١ / ١٣٧ .

(٣) ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ٥١ ، وشرح شذور الذهب ١١٠ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٧٣ ، والهمع ١ / ٨٣ ، وجامع الدروس العربية للغلاييني ١/ ٣٩ .

٢ . تغيير بالنقص ليس غير نحو " تهمة وتهم "

٣ . تغيير بالزيادة ليس غير نحو " صنو وصنوان "

٤ . تغيير في الشكل مع النقص نحو " سرير وسرر "

٥ . تغيير في الشكل مع الزيادة نحو " سبب وأسباب "

٦ . تغيير في الشكل مع النقص والزيادة نحو " كريم وكرماء "[١]

وسمى هذا الجمع بجمع التكسير أو الجمع المكسر علي التشبيه بتكسير الآنية ؛ لأن تكسيرها إنما هو إزالة التئام أجزائها ، فلما أزيل نظم الواحد وفك نضده في هذا الجمع سمى بذلك [٢] فكأن المفرد في هذا الجمع أصابه الكسر بالعدول عن حالته الأولي ، وينقسم جمع التكسير إلي نوعين :

أحدهما : جمع تكسير للقلة و يدل حقيقة علي أدنى العدد ، وهو من الثلاثة فما فوقها إلي العشرة ، **وثانيهما** : جمع تكسير للكثرة ويدل علي ما فوق العشرة إلي مالا نهاية ويستعمل كل منهما في موضع الآخر مجازًا [٣] .

والذي يعنينا هنا هو الصنف الأول وهو : جمع التكسير المراد به القلة ، وإلي بسط الحديث عنه أقول :

---

(١) ينظر : الأصول في النحو ١ / ٤٧ ، والتعريفات للجرجانى ١٠٦ ، وعلل النحو ١ / ١٧١ وشرح ابن عقيل ٤/ ١١٤ ، والتحفة السنية في شرح المقدمة الآجرومية لمحمد محى الدين عبد الحميد ١٩ .

(٢) ينظر : أسرار العربية ٧٦ .

(٣) ينظر : التعريفات للجرجانى ١٠٥ ، والمفصل للزمخشري ٢٣٥ ، واللباب للعكبري١٧٩/٢ ، والكليات للكفوى ٥١١ ، و شرح ابن عقيل ٤ / ١١٤ ، وشرح الأشمونى ١ / ٤٤١ ، والهمع ٣ / ٣٤٨ ، وحاشية الخضري علي شرح ابن عقيل١٤٢/٣ .

مدلول جمع القلة بطريق الحقيقة من الثلاثة إلي العشرة ، واختلف في العشرة فمنهم من جعلها من جمع القلة ، ومنهم من جعلها بدية جمع الكثرة ، وعليه تكون التسعة منتهى جمع القلة ، والصواب دخولها في حد القلة [١] ، ولجموع القلة في العربية أوزان أربعة [٢] جمعها العلامة ابن مالك في قوله في الألفية :

أفعلة أفعل ثم فعلة ثمت أفعال جموع قلة [٣]

وإنما اختصت هذه الأوزان الأربعة بالقلة لأنها تصغر على لفظها نحو : أكيلب ، وأجيمال وأحيمرة ، وصبية ، بخلاف غيرها من الجموع وتصغير الجمع يدل على التقليل ، . وعلل الرضى بغلبة استعمالها في تمييز الثلاثة وإيثارها فيه على سائر الجموع إن وجدت [٤]

البناء الأول : أفعلة

" أفعلة " من أبنية جموع القلة ، يطرد هذا البناء جمعًا لكل اسم مذكر رباعي بمدة قبل الآخر، مفتوح الفاء ، أو مكسورها ، أو مضمومها نحو : طعام ، وسلاح ،

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٩٧، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي٢/٢٥٥ .

(٢) اقتصرت هنا علي المشهور لدى علماء العربية خلافا لمن ذهب إلي دلالة جمعى التصحيح علي القلة . تنظر هذه المسألة في :
الكتاب لسيبويه ٣ / ٥٧٨ ، والمقتضب ٢ / ١٥٦ ، والمفصل ٢٣٥ ، شرح الرضي علي الكافية ٣ / ٣٩٧ ، وشرح الشافية للرضي ١ / ٢٦٧ ، وخزانة الأدب ٨ / ١٠٧ ، و جامع الدروس العربية ١ / ٤٠ .

(٣) ينظر : شرح ابن عقيل ٤ / ١١٤ ، وشرح الأشمونى ١/ ٤٤١ ، وخزانة الأدب٧/٣٩٦ .

(٤) ينظر : شرح الرضي علي الكافية ٣ / ٣٩٨ .

وغراب ، ورغيف ، وعمود ، يقال فيها : أطعمة ، وأسلحة ، وأغربة ، وأرغفة ، وأعمدة .

ويلتزم هذا البناء فيما كان علي " فعال " بفتح الفاء وكسرها مضعفي اللام أو معتليها نحو : بتات ، وزمام ، وقباء ، وإناء . وفي ذلك يقول ابن مالك :

في اسم مذكر رباعى بمد ثالث أفعلة عنهم اطرد

والزم في فعال أو فعال مصاحبي تضعيف أو إعلال

فإن اخترم شرط من هذه الشروط في الكلمة المراد جمعها فلا تجمع علي أفعلة وما جمع علي أفعلة مما فقد شرطًا فإنه يحمل علي الشذوذ فيحفظ ولا يقاس عليه .

من ذلك قولهم : شحيح وأشحة ، وعزيز وأعزة ، وذليل وأذلة لكونها صفات ، وشذ نحو : عُقاب وأعقبة ، وعَناق وأعنقة لكونهما مؤنثين ، وشذ نحو : قدح وأقدحة لكونه ثلاثيًا ، وشذ نحو جائز وأجوزة لكون المد ليس ثالثًا . [1]

البناء الثانى : أفعل

من أبنية جموع القلة (أَفْعُل) ويطرد جمعًا لنوعين من المفردات :

الأول : ما كان على وزن " فعْل " . بفتح الفاء وإسكان العين . اسماً صحيح الفاء والعين غير مضاعف سواء صحت لامه أم اعتلت نحو : نَجْم وكَلْب وفَحْل ، وظبي

([1]) ينظر في ذلك : الكتاب ٦٠١/٣ : ٦٠٥ ، والمقتضب ٢٠٩/٢ ، والأصول لابن السراج ٢ / ٤٤٨ ، واللمع لابن جنى ١٧٥ ، و اللباب للعكبري ١٨٣/٣ ،و شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ١٢٥/٢ ، وأوضح المسالك ٤ / ٣١٢ ، وشرح ابن عقيل ٤ / ١١٨ ، وحاشية الخضري علي شرح ابن عقيل ٣ / ١٤٦ .

، وجرو ، يقال في جمعها : أَنْجُم ، وأَكْلُب ، وأَفْحُل ، وأظب ، وأجر . [1]
يقول سيبويه : " أما ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان فَعْلاً فإنك إذا ثلثته إلى أن تعشره فإن تكسيره أَفْعُل ، وذلك قولك : كَلْب وأَكْلُب ، وكَعْب وأَكْعُب ، وفرْخ وأَفْرُخ ، ونَسْر وأَنْسُر " [2] .

فإذا فقد المفرد شرطًا من هذه الشروط فلا يجمع على" أفعل " وذلك فيما إذا ما كان علي " فعل " صفة نحو : ضخم وصعب ، أو كان معتل الفاء نحو " وجه " أو كان معتل العين نحو : بيت ، وغيب ، وسوط ، وقول ، أو كان مضعفًا نحو " كف " و" صك " فلا يجوز جمع هذه الألفاظ على أفعل لفقدها شرط هذا الجمع . [3]
وما ورد من جمع ما فقد هذه الشروط يكون شاذاً يحفظ ولا يقاس عليه .

كما يحفظ (أَفْعُل) في ثمانية أوزان لم تجتمع فيها الشروط السابقة :

١) فِعْل (بكسر فسكون) مطلقاً اسماً كان نحو : ضرس وأضرس ، أو صفة نحو : جلف وأجلف .
٢) فَعَل (بفتحتين) اسماً نحو : جبل وأجبل .
٣) فُعْل (بضم فسكون) اسماً : نحو : قفل وأقفل .
٤) فُعُل (بضمتين) اسماً : نحو : عنق وأعنق .

---

(١) ينظر : الكتاب ٥٦٧/٣ ، ٥٨٦ ، والمقتضب ١٩٥/٢ ، والأصول لابن السراج ٢ / ٤٣٢ ، واللمع لابن جنى ١٧١ ، وأسرار العربية ٣٠٤ ، وعلل النحو للوراق ١ / ٥١٩ ، وأوضح المسالك ٤/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، والتصريح ٣ / ٦٧٢ ، و شرح الشافية للرضي ٩٠/٢ . ٩١ وشرح ابن عقيل ٤ / ١١٦ ، والهمع ٣ / ٣٤٨ ، وحاشية الخضري علي ابن عقيل٣ / ١٤٣، ١٤٤ . ، وجامع الدروس العربية ٢ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) الكتاب ٥٦٧/٣ .

(٣) ينظر: الكتاب ٥٦٧/٣ ، ٥٨٦ ، المقتضب ١٩٥/٢ ، شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٩٠/٢ . ٩١ ، وشرح الأشموني ٦٧١/٣ . ٦٧٢ .

٥) فَعُل (بفتح فضم) اسماً : نحو : ضبع وأضبع .
٦) فِعَل (بكسر ففتح) اسماً : نحو : ضلع وأضلع .
٧) فَعَلة (بفتحتين) اسماً : نحو : أكمة وآكم .
٨) فِعْلة (بكسر فسكون) اسماً : نحو : نعمة وأنعم . [١]

الثاني : الاسم الرباعي المؤنث بلا علامة الذي قبل آخره مدة (ألف أو واو أو ياء) مفتوح الأول ، أو مكسوره ، أو مضمومه وذلك نحو : عَنَاق ، وذِرَاع ، وعُقَاب ، ويمين ، وثمود . يقال في جمعها : أَعْنُق وأَذْرُع وأَعْقُب وأَيْمُن وأَثْمُد .

فإن كان صفة نحو : شجاع ، أو بلا مدة نحو : خنصر، أو مذكراً نحو : حمار، أو بعلامة التأنيث نحو : رسالة ، أو ثلاثياً نحو : دار فلا يجمع هذا الجمع . [٢]

البناء الثالث : فعلة

من أبنية جموع القلة " فِعْلَة " بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهو بناء لا يطرد في شيء من الأوزان ، وإنما هو سماعى يحفظ ما ورد منه ولا يقاس عليه وهو ما عبر عنه ابن مالك بقوله :

وفعلة جمعاً بنقل يدري

وقد حفظ هذا البناء في ستة أوزان علي النحو التالي :

١) فَعَل بفتح الفاء والعين نحو : ، وفتى : فِتية ، وأخ : إخوة .
٢) فَعْل بفتح الفاء وسكون العين نحو : شيخ و شِيخة ، وثور و ثِيرة.

---

(١) ينظر : التصريح ٥٢٣/٢ ، و شرح الأشموني ٦٧٣/٣ .
(٢) ينظر : الهمع ٣ / ٣٤٨ ، و شرح الأشموني ٦٧٢/٣ ـ ٦٧٣ .

٣) فِعْل بكسر الفاء وسكون العين نحو : ثنى : ثِنية . [١]

٤) فَعَال بفتح الفاء والعين وبعدهما ألف نحو : غزال : غِزلة .

٥) فُعال بضم الفاء وفتح العين وبعدهما ألف نحو : غلام : غِلمة.

٦) فعيل نحو : صبي : صِبية. [٢]

ولعدم اطراد هذا البناء ذهب أبو بكر ابن السراج إلى أنه اسم جمع لا جمع قلة . [٣] وضعف بأن كثيراً من صيغ الجموع المجمع عليها لا تطرد [٤]

البناء الرابع : أفعال

من أبنية جموع القلة أَفْعَال وهذا البناء يطرد جمعًا لكل اسم ثلاثي لا يطرد فيه " أفعل "[٥] ، وإذا كان " أفعل " يطرد فيما كان علي وزن " فعل " صحيح الفاء والعين فإن " أفعال " يأتى جمعًا للأوزان التالية :

١ . ما كان على وزن (فَعْل) معتل العين . يائيًا كان أو واويًا . نحو : سيف و ثوب ، أو كان معتل الفاء نحو : وهم .

٢ . ما كان علي وزن (فعل) بفتح الفاء والعين نحو جمل .

٣ . ما كان علي وزن (فعل) بفتح الفاء وكسر العين نحو نمر

---

(١) الثنى واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه، والثنى من الوادي والجبل : منقطعه ، وثنى الحية : انثناؤها وهو أيضا ما تعوج منها إذا تثنت . ينظر : اللسان ث ن ى .

(٢) ينظر : أوضح المسالك ٤ / ٣١٢ ، والتصريح ٥٢٨/٢ ، وشرح ابن عقيل ٤ / ١١٩ ، وشرح الشافية للرضي ٢ / ٩٨ ، وشرح الأشمونى ٣ / ٦٧٠ ، وحاشية الخضري علي شرح ابن عقيل ٣ / ١٤٤ ، والهمع ٣ / ٣٥١ ، وجامع الدروس العربية ٢ / ٤٠ .

(٣) ينظر : الأصول ٤٣٢/٢ ، والهمع ٣ / ٣٥١، شرح الأشموني ٦٧٠/٣

(٤) ينظر : الهمع ٣ / ٣٥١ .

(٥) ينظر : شرح ابن عقيل ٤ /١١٧ ،١١٨، وحاشية الخضري علي شرح ابن عقيل٣ / ١٤٥ والهمع ٣/ ٣٤٩.

٤ . ما كان علي وزن (فعل) بفتح الفاء وضم العين نحو عضد

٥ . ما كان علي وزن (فعل) بكسر الفاء والعين نحو إبل

٦ . ما كان علي وزن (فعل) بكسر الفاء وفتح العين نحو عنب

٧ . ما كان علي وزن (فعل) بكسر الفاء وسكون العين نحو حمل

٨ . ما كان علي وزن (فعل) بضم الفاء والعين نحو عنق

٩ . ما كان علي وزن (فعل) بضم الفاء وسكون العين نحو قفل .

فيقال في جمع ذلك كله : أسياف ، و أثواب ، وأوهام ، و أجمال ، و أنمار ، و أعضاد ، وآبال ، وأعناب ، وأحمال وأعناق ، وأقفال.

ولا تسير هذه الأوزان على نسق واحد في جمعها على (أفعال) : فمنها ما يلزم ؛ وذلك ما كان على (فِعِل) بكسر الفاء والعين نحو : إبل فتجمع على آبال ومنها ما يقل ؛ وذلك في (فَعَل) بفتح الفاء والعين معتل العين نحو : مال وأموال وحال وأحوال ، وخال وأخوال ، ومنها ما يندر وهو (فعل) بضم الفاء وفتح العين نحو " رطب " ، ويغلب في الباقي . [١]

وعن ندرة جمع " فعل " المضموم الفاء المفتوح العين علي أفعال يقول سيبويه : " وما كان على ثلاثة أحرف وكان فُعَلاً فإن العرب تكسره على (فِعْلان) وإن أرادوا أدنى العدد لم يجاوزوه ، واستغنوا به كما استغنوا بأَفْعُل وأَفْعَال فيما ذكرت لك ، فلم يجاوزوه في القليل والكثير. وذلك قولك صرد وصردان ، ..... وقد أجرت العرب شيئاً منه مجرى فعل وهو قولهم : ربع وأرباع ، ورطب وأرطاب ، كقولك : جمل وأجمال " . [٢] ، وقيل باطراد (أفعال) فيمام كانت فاؤه همزة أو واو مما علي "

(١) ينظر : الهمع ٣ / ٣٥٠ ، وشرح الأشموني ٦٧٤/٣ .

(٢) الكتاب ٥٧٤/٣ .

فعل " صحيح العين نحو ألف وآلاف ، ووقت وأوقات[1] ، كما جمع على (أفعال) من غير الثلاثي ما يلي :

- فعيل (بمعنى فاعل) مثل : شهيد وأشهاد ، وشريف وأشراف .
- فعال (بفتح الفاء) مثل : جبان وأجبان ، وجواد وأجواد .
- فعلة (بفتح الفاء وسكون العين) مثل : هضبة وأهضاب .
- فعلة (بضم الفاء وسكون العين) مثل : جثة وأجثاث .
- فعول (بفتح الفاء) مثل : عدو وأعداء .
- فعلة (بكسر الفاء وسكون العين) مثل : نضوة وأنضاء ، وشيعة وأشياع.
- فعلة (بفتح الفاء وكسر العين) مثل : نمرة وأنمار .
- فاعل (بكسر العين) مثل : جاهل وأجهال ، وشاهد وأشهاد ، وصاحب وأصحاب .
- فيعل (بفتح الفاء وكسر العين) مثل : ميت وأموات ، وحيز وأحياز
- فعل (بضم فسكون) نحو : حر وأحرار .
- فاعلة (بكسر العين) نحو : نائحة وأنواح .
- فعال (بكسر الفاء وفتح العين) نحو : فناء وأفناء [2].

تنبيهات

١ . قد يستغنى ببعض أبنية القلة عن بعض أبنية الكثرة كما في رجل وأرجل ، وعنق وأعناق ، وفؤاد وأفئدة ،

٢ . قد يستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بعض أبنية القلة كما في رجل ورجال ، وقلب وقلوب .

---

(١) ينظر : الهمع ٣ / ٣٤٩ .

(٢) ينظر : شرح الأشموني ٣ /٦٧٥ ، والهمع ٣ / ٣٤٩ .

٣ . كما يستغنى أحد البناءين عن الآخر وضعًا يستغنى أحدهما عن الأخر استعمالا لقرينة فيكون مجازًا [١].

٤ . تعتبر القلة والكثرة في نكرات الجموع، أما معارفها بأل أو الإضافة فصالحة لهما باعتبار الجنس ، أو الاستغراق [٢].

(١) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج ٢ / ٤٣٠ ، و أوضح المسالك ٤ / ٣٠٧ ، وشرح ابن عقيل ٤ / ١١٥ ، وشرح الأشمونى علي الألفية ١ / ٤٤١ ، والهمع ٣ / ٣٤٨ .

(٢) ينظر : الكليات للكفوى ١/ ٥١٠ ، وحاشية الخضري علي شرح ابن عقيل ٣ / ١٤٢ .

المبحث الأول

الجمع الموازن (أفعلة) ونماذجه القرآنية

تمهيد :

ورد علي هذا البناء ثلاثة عشر لفظاً ، في ثمانية وعشرين موضعاً مقسمة إلي قسمين :

الأول : ما لوحظ فيه معنى القلة ، وعدده أربعة ألفاظ هي (أذلة ، و أعزة ، وأشحة ، وأسورة)

قد وصلت هذه الألفاظ بتكرار بعضها إلي تسعة ، حيث ورد " أذلة " في أربعة مواضع ، و " أعزة " في موضعين ، و " أشحة " في موضعين ، و " أسورة " في موضع واحد .

والآخر : ما لوحظ فيه معنى الكثرة ، وعدده عشرة ألفاظ هى (أهلة ، وأئمة ، وأوعية ، وأجنحة ، وأفئدة ، وأكنة ، وأودية ، وأجنة ، وآنية ، وألسنة)

وقد وصلت هذه الألفاظ بتكرار بعضها إلي تسعة وعشرين لفظاً ، حيث ورد " أهلة " في موضع واحد ، و " أئمة " في أربعة مواضع ، وأوعية في موضع واحد وأجنحة في موضع واحد ، وأفئدة في خمسة مواضع ، وأكنة في أربعة مواضع ، وأودية في موضع واحد ، وأجنة في موضع واحد ، وآنية في موضع واحد ، وألسنة في عشرة مواضع " .

أولاً : الجموع المراعى فيها معنى القلة

١ ـ أذلة

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في أربعة مواضع هى علي الترتيب :

١ ـ قوله تعالي : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١]

٢. قوله تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [٢] .

٣ ـ قوله تعالي : ﴿ قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [٣]

٤ ـ قوله تعالي : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [٤] .

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " أذلة " جمع قلة ، ومفرده " ذليل " وهو" فعيل " من الذل ، والمادة اللغوية لهذا الجمع تدور حول الضعف والخضوع واللين[٥] ، فالذل بضم الذال: الهوان والضعف ونقيض العز ، والذل بكسر الذال : اللين وخلاف الصعوبة ، وقياس جمع ما كان علي " فعيل " صفة أن يأتى علي " فعلاء " كظريف وظرفاء ،

---

(١) من الآية ١٢٣ في سورة أل عمران .

(٢) من الآية ٥٤ في سورة المائدة .

(٣) من الآية ٣٤ في سورة النمل .

(٤) من الآية ٣٧ في سورة النمل .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ٢/ ٣٤٥ " ذل " .

إلا أنه ترك في المضعف طلبًا للخفة وهو من القليل الذي يجفظ ولا يقاس عليه [١] يقول الشاطبي في شرح الألفية :

" أفعلة قياس في كل اسم مذكر رباعى فيه مدة ثالثة ، فهذه أوصاف معتبرة ، فإن كان صفة لم يجمع قياسًا علي أفعلة "[٢]

فأفعلة بناء يغلب جمعًا لما كان علي " فعيل اسمًا " ، ويقل في الصفة : " يقول سيبويه : " وقد يكسرون المضاعف علي أفعلة نحو أشحة كما كسروه علي أفعلاء ، وإنما هذان البناءان للأسماء "[٣] .

ومعنى ذلك أن جمع " فعيل صفة علي أفعلة يكون من الشاذ القليل الذي يحفظ لا يقاس عليه غيره ، وقد أشار إلي هذه القلة العلامة الرضي حيث يقول : " والمضاعف من فعيل يكسر على أفعلاء بدل فعلاء نحو: شديد وشداد وأشداء ، وشحيح وشحاح وأشحاء ....وقد يكسر المضاعف على أفعلة أيضا، "[٤]

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

أولاً : آية أل عمران

تأتى هذه الآية في سياق تقرير المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ مكنهم من النصر والظفر علي أعدائهم من مشركى مكة في غزوة الفرقان "غزوة بدر " تلك الموقعة التى مكن الله بها للإسلام وأهله بالقضاء علي أئمة الكفر وطواغيت الشرك .

---

(١) ينظر : المحكم ١ / ٧٣ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٣٤٥ ، ولسان العرب ١١ / ٢٥٦ ، وتاج العروس ٢٩ / ١٣ .

(٢) ينظر : خزانة الأدب للبغدادى ٢ / ٥٤ .

(٣) الكتاب ٣ / ٦٣٤ ، وينظر : المحكم ٢ / ٤٨٨ ، والتاج ٦ / ٤٩٩ .

(٤) شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢ / ١٣٧ .

وقد ألقي استعمال النظم القرآنى لجمع القلة " أذلة " ظلالاً دلالية في الآية يمكن بيانها علي النحو التالي :

١ . التعبير بالجمع القليل فيه مناسبة تامة ومطابقة عجيبة لما كان عليه حال المسلمين في تلك الغزوة من القلة ، تلك القلة التي عمت غالب أحوالهم ، فهم من جهة كانوا قليلين من حيث العدد بالمقارنة بالمشركين ، إذ كانوا بضعة عشر و ثلاثمائة رجل ، في مواجهة المشركين الذين كانوا نحوا من الألف[١] ، ومما يؤكد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه في باب عدة أصحاب بدر عن البراء بن عازب قال : " كان المهاجرون نيفًا علي ستين ، وكان الأنصار نيفًا وأربعين ومائتين "[٢] وما روى أيضًا عن عباس من قوله " كان عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر "[٣] .

ومن جهة أخري كانوا قليلين من حيث العتاد والعدة ، فقد خرجوا علي النواضح يعتقب النفر منهم علي البعير الواحد ، ومما يدعم ذلك ما رواه ابن مسعود قال : " كنا يوم بدر كل ثلاثة علي بعير ، فكان علي بن أبي طالب وأبو لبابة زميلي رسول الله "[٤] ، أما من جهة العتاد فقد كان معهم فرس واحد ، وقيل فرسين :

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٢ / ١١١ ، وتفسير ابن أبى حاتم ٣ / ٧٥٠ ، وتفسير السمعانى ١ / ٣٥٣ ، ومفاتيح الغيب ٨ / ١٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٩٠ .

(٢) ينظر : صحيح الإمام البخاري باب عدة أصحاب بدر ٥ / ٧٣ .

(٣) ينظر : صحيح ابن حبان ١١/ ١٢٠ ، والآحاد والمثانى ١/ ٢٦٠ ، المعجم الكبيرللطبرانى ١١ / ٣٨٩ .

(٤) الحديث في مسند أحمد ٧ / ١٧ ، ومسند أبي يعلي الموصلي ٩ / ٢٤٢ ، واتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٧ / ٧٢ .

أحدهما للمقداد بن عمرو ، والآخر للزبير ، وقيل لمرثد العنزى ، وسبعون بعيرًا ، وستة أدرع ، وثمانية سيوف [١] ، يقول ابن كثير :

" كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم فرسان ، وسبعون بعيرًا ، والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه ، وكان عدد المشركين يومئذ ما بين السبعمائة إلي الألف في سوابغ الحديد والبيض ، والعدة الكاملة ، والخيل المسمومة والحلي الزائد" [٢] .

٢ ـ التعبير بالجمع المفيد للقلة مع الامتنان بالنصر المظفر يوحى في الدلالة بكون النصر من عنده سبحانه وتعالي وحده ، لا بكثرة العدد والعدة ، وأن شكر النعمة موجب لدوامها والمزيد فيها وهو ما كشف عنه ختام الآية " لعلكم تشكرون " .

٣ ـ التعبير بالجمع المفيد للقلة لا يتنافي مع وصفه تعالي للمؤمنين بالعزة في قوله ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣] ، لأن المراد بالذل هنا الضعف الناشئ عن قلة عددهم بالنسبة لمن يحاربهم من الكفار يومئذ ، أو لقلة عددهم بالنسبة لجميع الكفار في أقطار الأرض ؛ لأن هذه القلة تقتضي عند التأمل أنهم يهزمون لا محالة[٤] ، أو يحمل التعبير بالجمع المفيد للقلة علي ما كان ثابتًا في نفوس المسلمين من هيبة المشركين وسطوتهم إذ لم يحصل منهم استيلاء علي الكفار في مكة وحتى هذه الغزوة ، فكانت هيبة هؤلاء باقية في نفوسهم فناسبها التعبير بالجمع المفيد للقلة [٥] .

---

(١) ينظر : مصنف ابن أبي شيبة ١٢ /٩٤ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣ / ٢١ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٠٠ ، والمحرر الوجيز ٥ / ٤٨٤ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير ٢ / ١١١ .

(٣) من الآية ٨ في سورة المنافقون .

(٤) ينظر : تفسير الثعالبي ١ / ٣٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٩٠ .

(٥) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٥ / ٥١٥ .

ثانياً : آية المائدة

الآية في مقام التهديد والوعيد لمن يتولي عن نصرة دين الله وإقامة شرعه وأنه عرضة لاستبداله بمن هو أكثر منه حرصًا علي الدين وأشد منعة له ، وأن هذا الصنف هو الذي يحبه الله تعالي [١]

و يأتي جمع القلة في الآية " أذلة " من صفات ذلك الصنف المحبوب عند الله تعالي ، و " أذلة "هنا جمع " ذليل " مشتق من الذل بكسر الذال الذي هو ضد الصعوبة ، وهو مستعار هنا بمعنى المتعطف الحانى الرفيق ، اللين الجانب علي المؤمنين المتواضع لهم [٢] ، فقد نقل أبو جعفر النحاس عن أبي إسحاق قوله : " ليس يريد " أذلة " من الهوان ، وإنما يريد أن جانبهم لين للمؤمنين خشن علي الكافرين "[٣]

وعلي اعتبار كون الآية نازلة في أبي بكر وأصحابه ممن قاتل المرتدين[٤] فيكون تعبير النظم القرآنى بجمع القلة متلائم مع قلة عدد أصحاب أبي بكر بالنسبة لمن يقاتلونهم من المرتدين في ذلك الوقت .

وإذا حملت الآية علي العموم فإن معنى القلة يمكن تصوره من جهة كون هذه الصفة " أذلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين " تكون من صفات طائفة قليلة من الناس أولئك الذين يحبهم الله ويحبونه ، ويجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم " .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٣ / ١٣٥ .

(٢) ينظر : اللباب ٧ / ٣٩٢ ، وتفسير البغوى ٣ / ٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٢٢٠ .

(٣) ينظر : معانى القرآن للنحاس ٢ / ٣٢٤ .

(٤) ينظر : تفسير الطبري ١٠ / ٤١٢ .

كما تأتى المقابلة العجيبة بين الوصفين المجموعين علي بناء القلة " أذلة وأعزة " مع اختلاف متعلقهما لتصوير الخلق الأقوم في صفات المؤمنين ، وهو حصافة الرأي وعدم الاندفاع إلي فعل ما إلا عن بصيرة ، فهم رفقاء عاطفين علي المؤمنين غلاظ شداد علي الكفار ، كما توحى بقدرتهم علي مواجهة كل موقف بما يناسبه[1] .

ثالثاً : آيتى النمل

قوله تعالي ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ .

الآية في معرض كلام بلقيس وقد استشارت قومها في أمر ما جائها من سليمان . عليه السلام من الدعوة إلي الإيمان ، وما رأته من تعريض قومها لحربه وقتاله ، فحذرتهم من عاقبة ذلك بما خبرته وجربته من شأن الملوك الفاتحين المغيرين ، وما جرت به سننهم وحكمت به عاداتهم من الإفساد في البلاد المفتوحة و إهانة كبراءها ورؤسائها لتستقيم لهم العصا ويستتب لهم الأمر[2] .

ويتناغم التعبير بالجمع المفيد للقلة هنا مع ما توحى به الدلالة من قلة أولئك الرؤساء والحاكمين للبلدان في كل عصر من العصور ، فالطبقة الحاكمة والرؤساء قليلون إلي جانب غالبية من يحكمونهم ، وأنهم في حال خراب ملكهم يكونون أول من ينالهم الأذي والذلة لما يتوقع من خطرهم .

---

(1) ينظر : التحرير والتنوير ٦ /٢٣٨ ، وتفسير الشعراوى ١ / ٢٢٢٢

(2) ينظر : نظم الدرر ٥ / ٤٢٤ ، وتفسير الطبري ١٩ / ٤٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ١٩٠ ،واللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٩٥ ، والتحرير والتنوير ١٩ / ٢٦٤ .

كذلك تزيد الجملة المشتملة علي جمعى القلة " وجعلوا أعزة أهلها أذلة " والتى تقع موقع التفسير لقوله " أفسدوها " من الإشعار بأن قلب الأمور وتغير الأنظمة والأحوال مما يفسد القري والبلدان ؛ إذ أن أول ما يعمد إليه الملوك المغيرين هو سلب السلطة ممن كانت بيدهم مقاليد الأمور ، والإمعان في إذلالهم بعد عزهم حتى لا يتابعهم أحد .

قوله تعالي :﴿ ولنخرجنهم منها أذلة ... ﴾

الآية في معرض كلام سليمان عليه السلام وقد جاءه وفد بلقيس بهدايا ملكتهم ، فأعرض عن قبول هديتهم ، وأمر رسلها بالرجوع إليها وإخبارها عن عزمه محاربتها في جنود كثيرة ، وأنه يهدف لإخراجهم عن مدينتهم مهانين ضعفاء مقهورين إن لم يسلموا [١] .

وقد أسهم التعبير بالجمع المفيد للقلة " منها أذلة " في تأكيد معنى القلة و الضعف والهوان الذي سيصيب أهل هذه القرية إن حاربهم سليمان ؛ لأنه في هذه الحالة سوف يخرجهم من أرضهم عبيدًا مقهورين بعد أن كانوا سادة وجهاء ، كما أن وقوع الجمع القليل " أذلة " في موضع الحال فيه إشعار بمدى ما سيلحق أهل سبأ من الخزى والضعف وأن ذلك سيكون حالهم ووصفهم[٢] .

كذلك يوحى الربط بين جمع الكثرة " بجنود " وجمع القلة " أذلة " بإفادة كون الاستعداد للحرب والتعبئة لها مما يجلب النصر ويحقق الغلبة فجنود سليمان كثيرون وهم من الجن والإنس والطير يوزعون[٣] ، وأيضًا تطابق جمع القلة في قوله " ولنخرجنهم منها أذلة " مع قول ملكتهم " وجعلوا أعزة أهلها أذلة " .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٦ / ١٩١ ، وتفسير البغوى ٦ / ١٦٣ .

(٢) ينظر : اللباب ١٥ / ١٦٢ ، والبحر المحيط ٧ / ٧١ .

(٣) ينظر : النكت والعيون ٤ / ٢١١ .

٢ ـ أشحة

ذكر هذا الجمع في التنزيل العزيز مرتين في موضع واحد وهو قوله تعالي : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴾ [١]

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " أشحة " بزنة أفعلة جمع قلة لـ " شحيح " وهو فعيل من الشح بضم الشين وهو : البخل ، وقيل هو أشد البخل ، وقيل البخل يكون في إفراد الأمور وآحادها ، ويطلق الشح علي عامتها ، وقيل هو : حرص النفس علي ما ملكت وبخلها به .

والمادة اللغوية للجمع تدور حول المنع والحرص وعدم الإعطاء[٢] ، ومنه قولهم " زند شحاح : إذا كان لا يوري " وأرض شحاح : إذا سالت من أدنى مطرة كأنها تضن بالماء علي نفسها[٣] .

ومجيء " أشحة جمعًا لشحيح مما لا ينقاس ؛ لأن ما كان علي " فعيل صفة " يجمع علي " فعلاء نحو كريم وكرماء ، ولا يجمع علي أفعلة "

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

---

(١) الآيتان ١٧ ، و ١٨ في سورة الأحزاب .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ٣ / ١٧٨ .

(٣) ينظر : العين ٣ / ١٣ ، والمحكم ١ / ٣٧٥ ، واللسان ٢/ ٤٩٥ ، والتاج ٦ / ٤٩٩ .

تأتى هذه الآية في سياق بيان علمه تعالي بذلك الصنف من المنافقين الذين كانوا يثبطون النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه عن القتال يوم الأحزاب قائلين " ما محمد و أصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه "[١]

وقد أضاف استخدام التعبير القرآنى للجمع المفيد للقلة في الآية عدة دلالات يمكن استنباطها علي النحو التالي :

١ ـ التعبير بالجمع علي بناء القلة يوحى في الدلالة بقلة ذلك الصنف من المنافقين ومما يدعم ذلك ما روى من أن الآية نزلت في ثلاثة هم : معتب بن قشير ، وعبد الله بن أبي ، وجد بن قيس[٢] .

٢ ـ وقوع الجمع المفيد للقلة " أشحة عليكم " موقع الحال من الضمير في " لا يأتون " ، أو انتصابه علي الذم يوحى في المعنى بمدى جبن أولئك الموصوفين ، وبيان لعدم حضورهم القتال مع المسلمين وأنه نابع من خوفهم وخورهم وشدة حرصهم علي أنفسهم وعدم بذلها في القتال ، وتحذير للمسلمين من أن يكونوا علي صفتهم[٣] .

٣ ـ تعلق ضمير جماعة المسلمين بالجمع القليل " أشحة عليكم " فيه بيان لما تنطوى عليه قلوب هؤلاء من حقد وضغينة علي المسلمين وحرصهم علي هزيمتهم

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٢١ / ٢٣١ ، وتفسير البغوى ٣ / ٦٢٢ ، والجامع لأجكام القرآن ١٤ / ١٥٢ .

(٢) ينظر : معانى القرآن للنحاس ٥ / ٣٣٥ ، وتفسير الخازن ٥ / ٢٤٤ ، وتفسير السمعانى ٤ / ٢٦٨ ، والبحر المحيط ٧ / ٢١٤

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي ٨ / ٢١ .

[١]، فعدم حضورهم القتال مع المسلمين دافع لضعاف الإيمان إلي الانصراف عن رسوله الله مما يترتب عليه القضاء علي هذا الدين .

٤ ـ تعلق الجمع القليل " أشحة " بقوله " علي الخير " يوحى في الدلالة بعموم شح هؤلاء المنافقين بجميع ما فيه منفعة للمؤمنين ، فهم يشحون بأنفسهم عند القتال فلا يظهرون إلا رياء ثم ينصرفون متخفين ، ويشحون بأموالهم فلا ينفقونها علي المسلمين لدى اقتسام الغنائم في حالة نصرهم[٢] ، يقول أبو حيان : والصواب أن يعم قوله " أشحة " ليعلم أن شحهم يعم كل ما فيه منفعة للمؤمنين "[٣] .

٥ ـ يستفاد من تكرار الجمع المفيد للقلة بنفس المادة اللغوية إلي كون هذا الصنف المذكور منعدم الفائدة في حالتى البأس والرخاء ، وأنه لا يرجى إيمانه لذا كان تعقيب الآية " أولئك لم يؤمنوا " باستخدام اسم الإشارة الدال علي البعد عن رحمة الله ، كما يرسم صورة مبدعة لهم وهى صورة تثير الاشمئزاز والنفور من هذا النموذج المكرور حتى وقتنا هذا ، وهو نموذج الجبن والانزواء والتخفي وقت الشدائد والأهوال ، في مقابل صورة الانتفاش وسلاطة اللسان وقت اللين والرخاء [٤] .

٣ ـ أسورة

(١) ينظر : تفسير الطبري ٢٠ / ٢٣٢ ، والتحرير والتنوير ٢١ / ٢٩٨ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٥ / ١٧٥ .

(٣) البجر المحيط ٧ / ٢١٤، وينظر : زاد المسير ٦ / ٣٦٦ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ٦ / ٥٨ بتصرف .

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في موضع واحد وهو قوله تعالي : ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (١)

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله " أسورة " جمع قلة مفرده : سوار بضم السين وكسرها ، وهو : حلية مستديرة كالحلقة توضع في معصم المرآة وزندها ، وهو معرب عن الفارسية وأصله : دستورا ، ويكون من الذهب والفضة والرصاص والنحاس(٢) .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

الآية الكريمة في سياق حكاية مقالة فرعون لقومه وحثهم علي اتباعه وترك متابعة موسي عليه السلام ومن معه ، وذلك عن طريق عقد موازنة بينه وبين موسي من ناحية الملك والجاه والعزة ، وفصاحة اللسان ، ليخلص من ذلك إلي إقناعهم إلي التخلي عن موسي وعبادته .مبينا لهم أنه ليس فيه من دلائل وعلامات الملك والرئاسة والتى منها ـ كما في عرف القوم ـ كونه يرتدى أسورة من ذهب فيكون نبيًا ملكًا .

ومن مكتسبات التعبير القرآنى بالجمع المفيد للقلة " أسورة " ما يلي :

١ ـ أنه يتناسب مع ما جرت به عادة بنى إسرائيل من أنهم كانوا إذا جعلوا سيدا عليهم اتخذوا لذلك علامة وهى كما يقول الإمام مجاهد : " كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه بسوارين ، وطوقوه بطوق من ذهب علامة لملكه وزعامته " .(١)

---

(١) من الآية ٥٣ في سورة الزخرف .

(٢) ينظر : العين ٧ / ٢٨٩ ، والتهذيب ٤ / ٣١٥ ، واللسان ٤ / ٣٨٤ ، والمعجم الوسيط١/٤٦٢ .

٢ ـ التعبير بالجمع المفيد للقلة " أسورة " يوحى بمدى استخفاف فرعون بقومه كما قال تعالي " عقب هذه الآية " فاستخف قومه فأطاعوه " يتمثل ذلك الاستخفاف كما يقول الشيخ سيد قطب : " في ذلك العرض التافه الرخيص الذي عرضه عليهم علامة علي الملك والنبوة ، فهل مجرد أسورة من ذهب تكون في يد موسي عليه السلام تكون دافعًا إلي تصديقه في أمر الرسالة ، فأسورة من ذهب في رأى فرعون تزيد في فضلها عن الآيات البينات "[٢]

([١]) ينظر : البحر المحيط ٦ / ٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٠٠ ، وفتح القدير ٤ / ٧٩٦ ، والتحرير والتنوير ٢ / ٢٣٢ .

([٢]) ينظر : في ظلال القرآن ٦ / ٣٨٠ بتصرف .

ثانياً : الجموع المراد بها التكثير

١ ـ أهلة

ورد هذا الجمع في موضع واحد من القرآن الكريم وهو قوله تعالي " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"[١]

الدراسة والتحليل

أ ـ بين يدى الآية

روى في سبب نزول هذه الآية أن قومًا من المسلمين ، وقيل من اليهود سألوا رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ عن الأهلة فقالوا : يا رسول الله لم خلقت الأهلة ؟ كما روى أن السائل له ـ صلي الله عليه وسلم ـ كانا معاذ بن جبل وثعلبة بن عثمة الأنصاريين قالا : يا رسول الله : ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ، ثم يزيد حتى يستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ؟ فنزلت " يسألونك عن الأهلة ... الآية [٢]

ب ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " الأهلة " بوزن أفعلة جمع قلة لـ " هلال " بزنة " فعال " بكسر الفاء وهو من الجمع المقيس فيما كان علي زنة " فعال " مضعفًا ، والهلال: اسم للقمر أول ما يبدو دقيقًا ، ويقال له ذلك لليلتين من أول الشهر ثم يكون بعد ذلك قمرًا ، وسمى هلالاً ؛ لأنه حين يري يهل الناس بذكر الله وتهليله ، واشتقاقه من قولهم " استهل الصبي إذا صرخ ساعة أن يولد ، او من قولهم " أهل القوم

---

(١) الآية ١٨٩ في سورة البقرة

(٢) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي ٢ / ٨٥ ، وتفسير ابن كثير ١ / ٥٢٢ ، وتفسير البيضاوى ١ / ٤٧٤ ، وتفسير الخازن ١ / ١٦٦ ، وتفسير السمعانى ١ / ١٩١ .

بالحج أو العمرة : إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية [١].

ج ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

أخبر الله سبحانه وتعالي في هذه الآية عن الحكمة في تغير حال الأهلة بالزيادة والنقصان واختلاف أحوالها وعدم ثباتها علي حال واحدة مثل الشمس .

وقد برز من خلال التعبير بجمع القلة وسياق الآية عدة إيحاءات دلالية علي النحو التالي :

١ ـ التعبير بالجمع في قوله " الأهلة " مع أنه واحد في الحقيقة ـ بغض النظر عن نوعية هذا الجمع ـ فيه إشعار بأن الجمع في قوله " الأهلة " كان لاعتبار اختلاف أحواله وأزمانه ، فمن حيث كونه هلالاً واحدًا في شهر غير كونه هلالا آخر في غيره [٢].

٢ ـ إيثار التعبير بجمع القلة المقترن بـ " أل " الدالة علي الجنسية لإرادة الكثرة وهى مرادة في الآية من جهة أن الأهلة في السنة الواحدة أكثر من عشرة بل هي اثنا عشر هلالاً ، ومما يؤكد إرادة الكثرة قوله تعالي في الجواب عن السؤال " قل هي مواقيت " فأتى في الجواب بصيغة منتهى الجموع الدالة علي الكثرة .

٣ ـ في تخصيص معرفة المواقيت بالأهلة دون الشمس وشهورها يوحى دلاليا بتيسر الله تعالي علي عباده ورحمته بهم من جهة أن إحصاء الأهلة وشهورها أيسر من إحصاء الأيام ، إضافة إلي أن الأشهر الهلالية يستوى العلم بها لدى الخاصة والعامة عن طريق رؤية الهلال ومحاقة ، بخلاف الشمس وأشهرها فإنها

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ٦ / ١١ " هل " الكشف والبيان للثعلبي ٢ / ٨٥ ، وتفسير الخازن ١٦٦/١ ، ومفاتيح الغيب ١ / ٧٩٢ ، والتحرير والتنوير ٢ / ١٩٥ .

(٢) ينظر : الدر المصون ١ / ٤٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٤١ ، واللباب لابن عادل الدمشقي ٣ / ٣٣١ .

لما كانت ثابتة لا تتغير ولا تختلف رؤيتها كان لا يعرف أشهرها إلا الخاصة من الحساب ومن له علم بها ، فضلا عما في تقدير الزمان بالأهلة من المنافع التى تعود علي العباد في دينهم ودنياهم فعن طريقها يعرفون مواقيتهم في عباداتهم من حج وعمرة وصيام ونذر ، وكفارة ، وعدة ، وغير ذلك من أمور الدنيا نحو المداينات والإجارات والمواعيد مما لا يسهل ضبطه إلا عن طريق الاختلاف في شكل القمر [١] .

٤ . قوله تعالي " يسألونك " يوحى بأن السؤال كان علي وجه بيان الحكمة والفائدة من تغير حال الأهلة واختلافها وعدم ثباتها علي حال واحدة كالشمس ، ومما يقوى ذلك قوله تعالي في الجواب " قل هي مواقيت " إذ السؤال نفسه لا يحمل البيان عن أى شيء سألوا فجاء الجواب موضحا لذلك عن طريق الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يرتقب تنبيها علي أنه الأولي بالقصد [٢].

٥ . الضمير في قوله " يسألونك " ضمير الجماعة علي أن السائل كان جماعة المسلمين أو اليهود ، فإن كانت القصة أن السائل معاذ بن جبل وثعلبة بن عثمة فيتخرج علي وجهين : أحدهما : نسبة الشي إلي الجمع وإن لم يصدر إلا عن واحد منهم أو اثنين وهو طريق من كلام العرب ، والثانى : أن يقال أن أقل الجمع اثنان علي سبيل الاتساع والمجاز [٣] .

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ١ / ٧٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٤٢ ، واللباب ٣ / ٣٣٤.

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ١ / ٧٩٢ ، وتفسير الخازن ١ /١٦٦ ، واللباب ٣ /٣٣١ ، وفتح القدير ١/ ٢٩١ .

(٣) ينظر : الدر المصون ١ / ٤٣٧ ، واللباب ٣ / ٣٣١ .

٦ ـ إفراد " الحج بالذكر مع دخوله في جملة العبادات التى تحتاج إلي توقيت من باب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه علي أن الحج من أعظم العبادات التى تطلب مواقيته وتعرف أشهره عن طريق الأهلة بخلاف غيره من الفرائض ، كما أنه لا يصح إلا في وقته ولا يقضي في غير أشهره التى عينها الله تعالي لفرضه ، كما يؤخذ من إبطال ما كانت عليه عادة الجاهلية من تأخير الحج والنسيء في شهوره [١].

٢ ـ أئمة

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في أربعة مواضع هي علي الترتيب :

١ ـ قوله تعالي ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[٢]

٢ ـ قوله تعالي ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [٣]

٣ ـ قوله تعالي ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ [٤]

٤ ـ قوله تعالي ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يُنصَرُون﴾[٥]

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ١ / ٧٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٤٣ ، والدر .

(٢) من الآية ١٢ في سورة التوبة

(٣) من الآية ٧٣ في سورة الأنبياء

(٤) من الآية ٥ في سورة القصص

(٥) من الآية ٤١ في سورة القصص .

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع :

قوله تعالي " أئمة " بزنة " أفعلة " جمع قلة لـ " إمام " وأصله " أأممة " نقلت حركة الميم الأولي إلي الساكن قبلها وهى الهمزة الثانية ، ثم أدغمت الميم في الميم ، والإمام : هو القدوة ومن يجعل مثلا يحتذي في عمله أو يعمل علي مثاله [١] .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق :

التزم النظم القرآنى في الآيات المتقدمة التعبير بجمع القلة " أئمة " علي أن الغرض من الإتيان بالجمع هنا إرادة الكثرة لا الاقتصار علي أدنى العدد ، وذلك ما وضحه سياق الآيات ، وإلي بيان ذلك أقول :

أولاً : آية التوبة

تشتمل هذه الآية الكريمة علي الأمر بوجوب قتال أئمة الكفر الناكثين لعهودهم الطاعنين في دين الإسلام ، وهذا الأمر عام في كل من يكفر ويتولي قتال النبي صلي الله عليه وسلم والدفع في شريعته إلي يوم القيامة إذ أن لكل جيل أئمته من الكفرة [٢] ، وليس ذلك الأمر مقصورا علي من نزلت فيهم هذه الآية كما ذهب إليه بعض المفسرين من كونها نزلت في أبي سفيان وأبي جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأضرابهم[٣] .

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٨٤ ، والمحرر الوجيز ٣ / ١٤ ، والدر المصون١/٢١٦٠ ، والتحرير والتنوير ١٠ / ١٢٩ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٥ /١٧ ، والمحرر الوجيز ٣ / ١٣ .

(٣) ينظر : تفسير البغوى ٤ / ١٧ ، واللباب ١٠ / ٣٤ ، وزاد المسير ٣ / ٤٠٤ ، وفتح القدير ٢ / ٤٩٧ .

وحمل الآية علي العموم أولي لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومما يدعم إرادة العموم المقتضي للكثرة أن الآية نزلت بعد غزوة بدر ومن ذكر أنها نزلت فيهم كان قد مات أكثرهم قبل نزول هذه السورة واستأصل الله شأفتهم فلم يبق إلا مسلم أو مسالم [١] يقول ابن عطية :

" وأصوب ما في هذا أن يقال : إنه لا يعنى بها . يعنى بالآية . معين ، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الكفر الناكثين بالعهود إلي يوم القيامة "[٢]

تعبير النظم القرآنى بالجمع في " أئمة الكفر " يوحى دلاليًا بأن من كان علي هذه الدرجة من الخيانة والغدر والطعن في الدين فهو عريق في الكفر فهو حقيق بالقتل ؛ بل إن قتل أئمة الكفر وسادتهم أولي وأهم لأن الباقي لهم تبع [٣] .

في اكتفاء التعبير القرآنى بالظاهر" أئمة الكفر " عن ضميرهم يؤخذ منه في الدلالة زيادة التشنيع علي من وصل إلي هذه المنزلة بكونه إمامًا للكفرة ، كما يوحى أيضًا بأن جهاد سادة الكفر وقادته وأئمته يفيد الدعوة إلي استصالهم جميعًا لأن قتل السادة يكون غالبا بعد قتل الأشياع والأتباع [٤]

ثانياً : آية الأنبياء

تأتى هذه الآية في سياق تعداد النعم التى امتن الله بها علي نبيه وخليله إبراهيم ومن ذلك تلك النعمة العظمى بأن جعل له من أهلة و ذريته قادة وهداة إلي كل خير بأن حعلهم إشارات وصوى لدين الله فهم يقتدى بهم فيه [٥] ولما كان

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٨٤ ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي٤/١١٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣ / ١٣ .

(٣) ينظر : تفسير النيسابوري٤/١١٦،وروح المعانى١٠/٥٩ ، وتفسير أبي السعود ٤ / ٤٧ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ١٠ / ١٣٠ ، وروج المعانى ١٠ / ٥٩ .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٢ / ١٦٦

دين الله هو الغاية العظمى جعل الداعين له والمرشدين إليه قادة وسادة وأئمة يهتدى بهم ويتمثل بأعمالهم وصنائعهم ، لذا كان التعبير بالجمع المقتضي التكثير من تمام النعمة وسبوغها .

ثالثاً : آيتى القصص

أما الأولي منهما وهى قوله تعالي : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ (١)

فهى في سياق بيان فضله تعالي وسبوغ نعمته علي بنى اسرائيل وامتنانه عليهم(٢) بأن أخرجهم من ذل العبودية والقهر والخضوع لفرعون وأتباعه ، وتبديل حالهم إلي قادة ورؤساء وارثين لملك فرعون ، يقول الطاهر بن عاشور :

" وأما جعلهم أئمة فذلك بأن أخرجهم من ذل العبودية ، وجعلهم أمة حرة مالكة أمر نفسها لها شريعتها التى تحتكم إليها ، وجعل لهم مملكة خاصة وحضارة فاقت حضارة جيرانهم ، وناهيك بما بلغه ملك بنى إسرائيل في عهد نبي الله سليمان " . (٣)

و الآية الثانية : وهى قوله تعالي : " وجعلناهم أئمة يدعون إلي النار "(٤)

يصور الجمع الملاحظ فيه معنى الكثرة ما آل إليه أمر فرعون ومن تبعه من استحقاقهم الهلاك في الدنيا بالإغراق ، والعذاب في الآخرة لكونهم يدعون إلي ما يوجب عذاب النار وهو الكفر بالله والبعد عن شريعته ، بحيث كانوا في هذا الطريق

---

(١) الآية ٥ في سورة القصص

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١٩ / ٥١٧ ، والكشف والبيان للثعلبي ٧ / ٢٣٣ ، ومعانى القرآن للنحاس ٥ / ١٥٧ ، والبحر المحيط ٧ / ١٠٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠ / ٧١ .

(٤) من الآية ٤١ في سورة القصص .

أئمة وقادة فاشتهروا وبقي حديثهم وصاروا قدوة لكل عات وكافر إلي يوم القيامة . كما يلفت السياق دلاليا إلي ما اجتمع عليهم من خزى الدنيا موصولاً بذل الآخرة [1].

٣ ـ أوعية

ورد هذا الجمع في موضع واحد من الذكر الحكيم وهو قوله تعالي : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [2]

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " أوعية جمع قلة لـ " وعاء " والوعاء بالكسر والضم ، والإعاء بالهمز : الظرف ويطلق علي كل ما إذا وضع فيه شيء أحاط به ، وهو مشتق من الوعى وهو الحفظ [3]، ويراد به في الآية : الأمتعة والرحال التى كانت مع إخوة يوسف [4].

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

سياق هذه الآية هو بيان ما كان من أمر نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ بعد أن قدم إخوته ومعهم أخوه الشقيق " بنيامين " إلي أرض مصر طلبًا للميرة التى

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٦ / ٢٣٨ ، وتفسير الخازن ٥ / ١٧٤ ، وزاد المسير ٦ / ٢٢٤ .

(٢) من الآية ٧٦ في سورة يوسف .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ٦ / ١٢٤ " وعى " .

(٤) ينظر : التهذيب ٢ / ١٠٤٤ ، ومفاتيح الغيب ١٨ / ١٤٥ ، واللسان ١٥ / ٣٩٦ ، والتاج ٤٠ / ٢١٥ ، والتحرير والتنوير ١٣ / ٣١ ، وبصائر ذوى التمييز ١ / ١٥٨٥ .

وعدهم بها ، وما كان من فعل يوسف عليه السلام لأجل الاحتفاظ بأخيه عن طريق اتهامه بسرقة صواع الملك .

وقد تضمنت الآية الكريمة جمعًا للقلة بزنة " أفعلة " وهو قوله " بأوعيتهم " ، وبالنظر المتأمل في الآية وسياقها ، ومفرداتها اللغوية تبرز عدة أوجه دلالية علي النحو التالي :

١ ـ إيثار التعبير بجمع من أبنية القلة مع إضافته إلي ضمير الإخوة ، مراد في الآية ؛ من حهة أن التعبير بالجمع هنا لإرادة الكثرة وذلك يتناسب مع عدد إخوة يوسف في ذلك الوقت ، فقد كانوا أحد عشر رجلًا ، عشرة أشقاء ليوسف من أبيه وهم : روبيل وهو أكبرهم ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، وزيلون ، وآشر ، وهؤلاء الستة هم أولاد نبي الله يعقوب من ابنة خاله التى كانت تدعى " ليا " إضافة إلي " دان ، ونفتالي ، وجاد ، وآشير "وهؤلاء الأربعة أولاد يعقوب من سريتين له ، ثم " بنيامين " الأخ الشقيق ليوسف من أخت " ليا " التى كانت تدعى " راحيل "[١] .

٢ ـ اقتران صيغة جمع القلة " أوعيتهم " بالجار " الباء " وتركه في قوله " قبل وعاء أخيه " فيه إشارة إلي أنه لم يكن بين فتح أوعية الأخوة ورحالهم ، ووعاء الأخ الشقيق فاصل زمنى كبير ، وهو ما عبر عنه الإمام البقاعي بقوله :

" ولما لم يكن – بين فتح أوعيتهم وفتح وعاء أخيه – فاصل يعد فاصلاً ، فكانت بدايته بأوعيتهم مستغرقة لما بينهم من الزمان ، لم يأت بجار ، فقال " قبل وعاء أخيه " أي أخي يوسف عليه الصلاة والسلام الشقيق " [٢] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤ / ١٢ ، وتفسير البغوى ٢ / ٤٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن٩/١٣٠ وروح البيان ٤ / ١٩٥ .

(٢) نظم الدرر ٤ / ٧٨ .

٣ ـ إسناد الفعل المعطوف بالفاء " بدأ " إلي الجمع القليل " أوعيتهم " يوحى دلاليًا بسرعة تنفيذ أمر التفتيش الصادر علي هؤلاء الإخوة سواء كان التفتيش من قبل يوسف عليه السلام أو من ناب عنه على اختلاف المفسرين فيه[١] .

٤ ـ البدء بتفتيش أوعية الإخوة قبل وعاء " بنيامين " يوحى في الدلالة بالتعريض بعدم معرفة المفتش لمكان الصواع ، إبعادًا للتهمة عنه من جهة ، ولإزالة الريبة عن قلوب الإخوة في كون هذا الأمر مدبر لاستبقاء بنيامين ، ، وتمكينًا للحيلة التى دبرها يوسف عليه السلام بما لا يدع مجالا للشك في نتيجة التفتيش [٢] .

٦ ـ عود الضمير مؤنثًا في قوله " ثم استخرجها " مع كون المراد به " الصواع "يفسر دلاليًا بالحمل علي معنى السقاية أو السرقة ، أو يحمل علي أن يوسف كان يسميه سقاية ، وعبيده كانوا يسمونه صواعاً ؛ إذ قد وقع فيما يتصل بيوسف من الكلام سقاية ، وفيما يتصل بهم صواعا ً، لذا عاد إليه هنا مؤنثا لكون الكلام مما يتصل بيوسف ، هذا مع ما يزيده وضع الظاهر موضع المضمر في قوله " وعاء أخيه " من زيادة في التجلية والكشف والبيان [٣] .

٧ ـ استخدام اسم الإشارة المقترن بأداة البعد في قوله " كذلك " يضفي ملمحًا دلاليًا مهمًا وهو الإشعار بعظم ذلك التدبير الذي ألهمه الله تعالي ليوسف إذ مكنه من الاحتفظ بأخيه " بنيامين " وفقا لحكم أخوته واعترافهم ، والتزامهم بتطبيق شريعتهم

---

(١) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي ٥ / ٢٤١ ، والوجيز للواحدى ١ / ٥٥٥ ، وتفسير البيضاوى ١ / ٣٠١

(٢) ينظر : البحر المحيط ٥ / ٣٢٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٣٠ ، وتفسير النسفي ٢ / ٣٣٢ ، وغرائب الفرقان ٤ / ١١٠ ، وفي ظلال القرآن ٤/٣٣٣ .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب ١٨ / ١٤٥ ، والكشف والبيان ٥ / ٢٤١ ، وتفسير أبي السعود ٤/٢٩٦ .

في السارق وأنه يصر عبدًا لمن سرقه سنة ، هذا مع ما توثقه أبوهم منه بالحفاظ عليه ، وأيضًا " فإن إضافة لفظ " كدنا " إلي ضمير المولي عز وجل مشعر بمدى لطف الله تعالي بيوسف إذ ألهمه ذلك التدبير من دس الصواع ، وما أجراه علي ألسنة إخوته من الاحتكام إلي ما يعتقدونه ويؤمنون به حسب شريعتهم من كون جزاء السارق الاسترقاق ، كما يلمح من دخول "لام الملك في قوله " كدنا ليوسف " "أن عاقبة ذلك التدبير وأخره إنما كان لحصول الفائدة ليوسف عليه السلام بضم بأخيه إليه [1] .

٤ ـ أجنحة

ورد هذا الجمع في قول الله تعالي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2]

الدراسة والتحليل

أ ـ بين يدى الآية

تأتى هذه الآية الكريمة التى افتتحت بها سورة فاطر أو سورة الملائكة في سياق وجوب إفراده تعالي بالحمد والثناء ، ذلك الحمد الموجب لعبادته دون ما سواه ؛ لتفرده تعالي بجليل الصنائع التى منها ابتداء خلق السماوات والأرض ، وخلق تلك المخلوقات ذات الصفة العجيبة والهيئة الغريبة وهم الملائكة متفاوتو الهيئة والصفة ، وغير ذلك مما يشهد له بتمام قدرته ونفاذ إرادته في في جميع خلقه ، بل

([1]) ينظر : الوجيز للواحدى ١ / ٥٥٥ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٤٠٤ ، ونظم الدرر ٤ / ٧٨ ، والبحر المديد ٣ / ٤٠٧ ، وفتح القدير ٣ / ٦٢ ،ومفاتيح الغيب ١٨ / ١٤٥ ، والتحرير والتنوير ١٣ / ٣١ ، وفي ظلال القرآن ٤ / ٣٣٣ .

([2]) الآية ١ في سورة فاطر .

هو السياق العام الذي تسير عليه السورة كلها ، يقول الإمام البقاعى : " تجردت هذه السورة للتعريف بالخلق والاختراع ، واستمرت علي هذا الغرض من التعريف والتنبيه علي الابتداءات التى اختص بها تعالي ..... وما انجر في هذه السورة مما ظاهره الخروج عن هذين الغرضين ملتحم ومستدعى بحكم الانجرار بحسب استدعاء مقاصد الآى "[١] .

ب ـ التحليل اللغوى للجمع :

قوله تعالي " أجنحة " جمع قلة و مفرده " جناح " بفتح الجيم ، وقياس جمع الكثرة فيه " جنح بزنة فعل ، [٢]، والجناح من الإنسان اليد ، وكذا من الطائر ، والمادة اللغوية المكونة لهذا اللفظ تدور حول الميل ؛ ذلك لأن جناح الإنسان و الطائر في أحد شقيه[٣] .

ج ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

تعد هذه الآية أول آية في القرآن تتحدث عن هيئة الملائكة وتركيبهم وتكوينهم الخلقي ، وقد مر في القرآن آيات تتحدث عن وصف هذه الجنس من المخلوقات من قبل الوظيفة والطبيعة [٤] وقد اشتملت الآية الكريمة في وصف الملائكة علي صيغة جمع القلة " أجنحة " الذي يأتى لإرادة الكثرة علي ما يتطلبه

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٦ / ٢٠١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ٧ / ٢٨٥ ، وروح المعانى ٢٢ / ١٦٢ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ١ / ٤٨٤ ، و لسان العرب ٢ / ٤٢٨ ، وتاج العروس ٦ / ٣٤٩ .

(٤) نحو قوله تعالي { ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون } وقوله : { إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون }

المقام : يقول الألوسي : وأجنحة جمع جناح صيغة جمع القلة ومقتضي المقام أن المراد الكثرة "[1]

وقد تناغمت مفردات الآية وسياقها في بيان هذه الكثرة ، ويتضح ذلك من عدة جهات علي النحو التالي :

أولاً : أن قوله " أجنحة لم يسمع فيه جمع كثرة فتكون صيغة " أجنحة " محتملة للقلة والكثرة [2]

ثانياً : قوله تعالي " أولي أجنحة " في مقام الصفة لقوله " الملائكة " و" أل " فيه للجنس أى جنس هذه المخلوقات ، فمجيء صيغة الجمع صفة لما يدل علي الجنس لغرض التكثير؛ لأن الملائكة جنس من مخلوقاته تعالي ويعرفون بأنهم أجسام لطيفة نورانية قادرة علي التشكل بأشكال مختلفة شأنهم الخير و الطاعة والعلم والقدرة علي الأعمال الشاقة ، مسكنهم السماوات ما لم يرسلوا إلي الأرض[3] ويكون الاختلاف في هيئتهم وتركيبهم مما يزيد في دلالة كمال قدرته تعالي وأنه جعل خلقا منهم له جناحان ، وخلقا له ثلاثة أجنحة ، وخلقا له أربعة أجنحة [4] ، وإثبات الأجنحة للملائكة إما أن يكون علي الحقيقة كما يفهم من ظاهر الآية أو يكون مستعار للقوة التى يستطيعون بها اختراق الأفاق السماوية صعودا ونزلا حسب ما تقتضيه إرادة الخالق . [5]

---

(1) روح المعانى ٢٢ / ١٦٢ .

(2) ينظر : البحر المحيط ٧ / ٢٨٥ ، وروح المعانى ٢٢ / ١٦٢ .

(3) ينظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٥٠

(4) هو قول قتادة ومقاتل وينظر في : تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٧٠ ، وتفسير الثعالبي٣/٢٥٢ ، و تفسير ابن كثير ٦ / ٥٣٢ ، واللباب ١٦ / ١٠٠ ، والكشاف٣/٦٠٤.

(5) ينظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٤٩ .

ثالثًا : قوله تعالي " مثنى وثلاث ورباع " صفة لقوله " أجنحة " وهى من الأعداد المعدولة التى يراد بها الانفراد لا الاجتماع ومعنى ذلك أن الله خلق الملائكة منهم جماعة ذوو جناحين ومنهم جماعة ذوو ثلاثة أجنحة ومنهم جماعة ذوو أربعة أجنحة إذ أن كل جنس منهم مفرد بعدد منها "[1]

رابعًا : قوله تعالي " أولي أجنحة " حال من قوله تعالي " رسلا " الذ ي هو جمع كثرة لرسول فاقتضي أن يكون الغرض من صيغة جمع القلة إرادة الكثرة ؛ لأن من الملائكة من يكون رسولا من الله إلي أنبيائه بالوحى والرسالات ، ومنهم من يرسل بأمره تعالي إلي من شاء من عبادة بنعمة أو نقمة ، وهنا يبرز السر الدلالي في ذكر الملائكة عقب خلق السماوات والأرض ؛ لأنهم الواسطة ووصلة ما بين السماء والأرض .

خامسًا : الاقتصار علي عدد الأجنحة في وصف الملائكة لا ينافي الزيادة علي ذلك ، وهو ما عبر عنه الإمام البيضاوى بقوله :

" ولعله لم يرد به خصوصية الأعداد ونفي ما زاد عليها "[2] ومما يؤيد ذلك ما جاء في ختام الآية من قوله " يزيد في الخلق ما يشاء " فهذه الجملة علي اعتبار كونها وصفًا ثانيًا للملائكة فإن معناها : أى يزيد في خلق الملائكة فيكون لأحدهم أكثر من ذلك العدد ، ومما يدعم ذلك أيضا ما روى من أنه صلي الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما

([1]) ينظر : تفسير ابن كثير ٢ / ٢٠٩ ، وفتح القدير ٤ / ٤٧٩ ، والجدول في إعراب القرآن ٢٢ / ٢٤٩ .

([2]) تفسير البيضاوى ١ / ٤٠٩ .

بين المشرق والمغرب [١] .

كما روى الزهرى أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلي الله عليه وسلم : فكيف لو رأيت إسرافيل عليه السلام فإن له اثنى عشر ألف جناح وإن العرش لعلي كاهله وإنه ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع "[٢] ويجوز أن تكون أعداد الأجنحة متغيرة لكل ملك في أوقات متغيرة على حسب المسافات التي يؤمرون باختراقها من السماوات والأرضين ، فيكون تعدد الأجنحة وكثرتها أشارة إلي تفاوت هذا الجنس من المخلوقات في المراتب والكماليات بعضهم علي بعض[٣] .

وهكذا جاء التعبير القرآنى بصيغة جمع القلة المراد به التكثير متناسبًا مع المقام المسوق فيه من بيان جليل قدرته تعالي بخلق هذا الجنس من المخلوقات عظيمة الهيئة متفاوتة التركيب والخلق .

٥ ـ أفئدة

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في خمسة مواضع هي علي الترتيب :

١ـ قوله تعالي ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [٤]

---

(١) الحديث في صحيح البخاري ٤ / ١١٥ ، وصحيح مسلم ١/ ١٥٨ ، وصحيح ابن حبان١٤/٣٣٦ ، ومسند أحمد ٦ / ٢٩٤ ، وسنن الترمذي ٥ / ٣٩٤ ، وشرح النووى علي صحيح مسلم ٣ / ٦ ، وينظر في : الكشف والبيان للثعلبي ٨ / ٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ٥٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٣٢٠ ،

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد ٣ / ٣١٨ ، وغريب الحديث لابن الجوزى ٢ / ٤٦٩ ، والزهد لابن المبارك ١ / ٧٤ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٣٢١ .

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود ٧ / ٣٤١ ، و روح البيان لإ سماعيل حقي ٧ / ٢٤٤ .

(٤) من الآية ١١٠ في سورة الأنعام .

٢ ـ قوله تعالي ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (١)

٣ ـ قوله تعالي : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢)

٤ ـ قوله تعالي : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾(٣)

٥ ـ قوله تعالي :﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ (٤)

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " أفئدة " جمع قلة لـ " فؤاد " والمراد به القلب ، وقيل هو مضغة فيه ، وقيل هو غشاء القلب ووعاؤه وداخله ، وقيل له ذلك لما فيه من معنى التفؤد وهو التوقد (٥) ، و جمع فؤاد علي أفئدة وإن كان من أبنية القلة إلا أنه يستعمل بمعنى الكثرة أيضًا ، وهو من مذاهب العرب بأن يضعوا جمعا معينًا على وزن صيغة خاصة بأحد الجمعين ، فيستعمل في القلة والكثرة" (٦) والقرائن السياقية والمقامية وحدها هى التى تعين علي معرفة الغرض منه تقليلاً أو تكثيرًا .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

(١) من الآية ١١٣ في سورة الأنعام .
(٢) من الآية ٣٧ في سورة إبراهيم .
(٣) من الآية ٤٣ في سورة إبراهيم
(٤) من الآية ٧ في سورة الهمزة
(٥) ينظر : مقاييس اللغة ٤ / ٤٦٩ ، واللسان٣ / ٣٢٣ ، والتاج ٨ / ٤٧٦
(٦) ينظر : النحو الوافي ٤ / ٦٢٩ .

التزم النظم القرآنى في الآيات السالفة صيغة جمع القلة " أفئدة " إلا أن الغرض من ذكره في الآيات إرادة الكثرة تبعًا لما يقتضيه السياق ، وإلي توضيح ذلك أقول :

أولاً : قوله تعالي " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم "

بعد أن ذكر ـ سبحانه وتعالي ـ إقسام مشركي قريش علي الإيمان بمحمد صلي الله عليه وسلم إن جاءتهم آية ومعجزة دالة علي صدقه ، وهو معنى قوله " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءته آية ليؤمنن بها " بين سبحانه أن إظهار الآيات علي يد رسوله إنما هو من عنده تعالي وحده القادر عليها حسب ما تقتضيه الحكمة ، ثم جاءت هذه الآية لتوضح أن هؤلاء المشركين علي فرض مجيئهم بما اقترحوه من آيات فلن يؤمنوا ؛ لأنه سبحانه قد قلب أفئدتهم وأبصارهم وحولها عن الوجه الذي يكون به الانتفاع فلا يؤمنون [1]

وواضح أن الغرض من التعبير بقوله " أفئدتهم " يراد به كثرة قلوب أولئك المشركين المتبعين للضلال حتى بعد ظهور الآيات علي صدق النبي ، فصيغة جمع القلة " أفئده " مضافة إلي ضمير الجمع ، كما تستفاد الكثرة أيضًا من أسناد " التقليب إلي الأفئدة " ، وقد أضفي التعبير بالجمع المراد به الكثرة مزيدًا من التأكيد علي عدم إيمان هؤلاء ، وأنهم صنف كثير من أهل مكة أولئك الذين حرموا الانتفاع بالأفئدة والأبصار؛ لانسلالهم من أصول المشركين ومن نشأتهم بين أهل الضلال ، كما تلوح من الآية عدة لطائف دلالية منها :

([1]) ينظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٦ ، ونظم الدرر ٢ / ٦٩٦ ، ومفاتيح الغيب للرازى ١٢٠/١٣ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٠٥، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٦٥ ، والمحرر الوجيز٣٩٤/٢ ، والتحرير والتنوير ٧ / ٤٤٣ ، وروح البيان ٤ / ١٧ .

١ . في إسناد التقليب إلي الأفئدة والأبصار إشعار باستحالة إيمانهم لأن القلب مختص بإدراك الآيات العقلية المحضة كأمية النبي صلي الله عليه وسلم وغيرها ، والأبصار وسيلة لإدراك المعجزات الحسية المشاهدة من نحو إنشقاق القمر وغيرها ، وتقليب هذين وتحويلهما عن الوجه الذي يقوم به الانتفاع يعنى بقاؤهم في الكفر وعدم خروجهم منه لانسداد مصادر الإدراك عندهم بالكلية .

٢ . تقديم الأفئدة علي الأبصار للاهتمام بها لأن القلوب هى محل الدواعى والصوارف ، فإذا حصلت الدواعى في القلب انصرفت سائر الجوارح إليه ، وإذا حصلت الصوارف في القلب انصرفت سائر الجوارح عنه [١].

٣ . تقليب الأفئدة والأبصار عن قبول الحق والإذعان له إنما يستحقه من حرم الهداية لإقدامه علي الكفر وذلك لأنه لما سبق في علمه تعالي عدم إيمانهم ، أفاض عليهم ما يقتضيه بعد بيان الحجة عليهم ، دفعًا لتوهم أن تقليب قلوبهم وأبصارهم علي سبيل الإجبار منه تعالي ، يقول الألوسي : " وذكر شيخ الإسلام أن هذا التقليب ليس من توجه الأفئدة والأبصار إلى الحق واستعدادها له بل لكمال نبوها عنه وإعراضها بالكلية ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارًا بأصالتهم في الكفر [٢] .

٤ . يؤخذ من سياق الآية أن الهدى والضلال جزاء يستحقه كل من بذل في سبيله الوسع والطاقة واتجه إليه وجاهد فيه [٣]

---

(١) ينظر : البحر المحيط ٤ / ٢٠٦ ،

(٢) ينظر : الكشاف ٢ / ٥٥ ، وتفسير الماوردى ٢ / ١٥٦ ، وتفسير أبي السعود ٣ / ١٧٣ ، وروح المعانى ٧ / ٢٥٥ .

(٣) ينظر : اللباب ٨ / ٣٧٥ ، وروح البيان ٤ / ١٧ ، وفي ظلال القرآن ٣ / ١٢١ ، ١٢٢ .

ثانياً : قوله تعالي : ﴿ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالأخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ... ﴾ .

أ ـ بين يدي الآية

السياق العام للآية في معرض التسلية للنبي صلي الله عليه وسلم بيان ما جرت عليه سنة الله في ابتلاء أنبيائه بأعداء من الجن والإنس يضلون الناس عن سبيل الحق ويزينون لهم زخارف القول والأباطيل ، وأن هذا الباطل يجد صدى وقبولا في قلوب كثير من الذين لا يؤمنون بالآخرة فيحبونه ويعملون بمقتضاه. [1]

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

١ ـ أضفي التعبير بجمع القلة المراد به التكثير إيحاء بكثرة ذلك الصنف الذي يميل إلي الباطل فيصغي لزخارف القول وهواهي الأباطيل مصداقًا لقوله تعالي " وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله " .

٢ ـ إسناد الإصغاء إلي الأفئدة المجموعة يوحى بالميل الحسي والانجذاب لا تباع أقوال الشياطين من مردة الجن والإنس الذين هم أعداء الأنبياء والمؤمنين ، وجعل محل الميل في هذه الأفئدة لأن القلوب أفضل أعضاء البدن هى الضابطة لحركات البدن ميلاً ونفورًا [2]

٣ ـ وصف الأفئدة المعرضة عن الحق بأنها أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة إشارة إلي أن عدم الإيمان بالآخرة هو أعظم ما أضر بهؤلاء لما نتج عنه من عدم ترقب الجزاء علي الأعمال فمالوا إلي دعوة الشياطين وابتعدوا عن دعوة الحق كما يوحى بكون الإيمان بالغيب والتصديق بما جاء به الرسول وأخبر هو ركيزة الإيمان وعليه

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٦ / ١٠٩ ، وتفسير الثعالبي ١ / ٥٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٦٩ ، والتحرير والتنوير ٨ / ٨ .

(٢) ينظر : تفسير النيسابوري ٣ / ٣٤٠ .

يبنى ، ولذلك جعل الإيمان بالغيب من خصائص امة محمد صلي الله عليه وسلم فقال تعالي " فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [١] " [٢] .

ثالثاً : قوله تعالي : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾

أ ـ بين يدى الآية

تأتى هذه الآية في معرض بيان ما كان من حال خليل الله إبراهيم عليه السلام ودعائه وتضرعه إلي ربه بعد أن ترك زوجه وولده في مكة .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

١ ـ تضمنت الآية التعبير بصيغة جمع القلة " أفئدة " مع أن الغرض منه التكثير وهو ما يوضحه التنكير في لفظ الجمع إضافة إلي سياق الآية ؛ لأن معناها: أن إبراهيم عليه السلام يدعوا الله بأن يجعل أفئدة كثيرة من الناس تهوى ذلك المكان الذي ترك فيه زوجه وولده فيأتون إليه من كل حدب وصوب فيأنسون بهم ويأمنون فيه[٣] .

٢ ـ إقامة لفظ الجمع " أفئدة " بين قوله " فاجعل " وقوله " من الناس " يوحى بكون انجذاب الناس إلي هذا المكان عن محبة وشوق وتلهف وكأن الفؤاد هو القاصد له لمسرع إليه لا البدن[٤] .

٣ ـ دخول " من " التبعيضية علي صيغة الجمع مشعر باصطفاء وتشريف هذه الأفئدة التى تقصد ذلك المكان لأنها تكون أفئدة المؤمنين العامرة بالإيمان ، حتى

---

(١) من الآيتين ٢ ، و ٣ في سورة البقرة

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢ / ٦٩٧ ، وفتح القدير ٢ / ٢٢٣ ، والتحرير والتنوير ٨ / ١٢ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ١٧ / ٢٥ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٥١٤ ، واللباب ١١ / ٤٠١ .

(٤) ينظر : روح المعانى ١٣ / ٢٣٨ ، و التحرير والتنوير ١٣ / ٢٤١ .

روى عن ابن عباس أنه قال " لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند ، وروى عن سعيد بن جبير أنه قال " لحجت اليهود والنصاري " [1]

رابعاً : قوله تعالي : وأفئدتهم هواء "

الآية في سياق الاستدلال علي اليوم الآخر عن طريق تصوير أحوال الظالمين من المشركين في ذلك اليوم في مشاهد تخلع القلوب وتزلزل الأقدام[2] .

وبعد أن ذكرت الآية بعض صفات الظالمين في ذلك اليوم يأتى قوله " وأفئدتهم هواء " لبيان ما تكون عليه قلوب الظالمين في ذلك اليوم ، فالتعبير بالجمع المضاف إلي ضمير الجماعة يصور حال كثير من الظالمين الذين تنخلع قلوبهم في هذا الموقف العظيم ، كما يلمح من إيثار التعبير بالأفئدة المجموعة ووصفها بأنها هواء إلي أهمية ذلك االعضو وأن خلوه من الخير كفيل بتعطيل عمل باقي الجوارح .

وقد فسر قوله تعالي " هواء " بعدة تفسيرات منها : أنها تكون خالية من كل خير ، وقيل : خالية عن جميع ما يخطر فيها لشدة الهول والفزع ، وقيل أراد أن قلوبهم تخرج من أفواههم فلا تعود لمكانها فيخلوا موضعها منها ، وقيل المراد : ترددها وتحركها في الأجواف وعدم استقرارها في مكان من الحيرة والفزع ، وقيل هو علي التشبيه أراد أن قلوبهم كالهواء في خلوه وعدم احتماله

(1) ينظر : معانى القرآن للنحاس ٣ / ٥٣٦ ، وتفسير البغوى ٤ / ٣٥٧ ، وزاد المسير ٣٦٨/٤ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٧٣ .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب ١٩ / ١١١ ، وفي ظلال القرآن ٤ / ٤١٣ .

شيئا [1] .

خامساً : قوله تعالي : " نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة

أ ـ بين يدى الآية

سياق الآية هو التهديد والوعيد للمشائين بالنميمة المغتابين للناس الطاعنين فيهم ، ومع اختلاف المفسرين فيمن نزلت فيه ، فإن الأولي كونها عامة في كال من كانت هذه صفته [2]

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

١ ـ جاء التعبير القرآنى بالجمع المقترن بـ " ال " الدالة علي الجنس للإيحاء بكثرة هذا الصنف الذي سوف تشمله النار التى يعذب بها الله العاصين من المغتابين والمشاءين بالنميمة علي وجه العموم وعلي الأخص من نزلت فيهم الآية [3] .

٢ ـ التعبير بقوله " تطلع علي " مشعر بقوة هذه النار وعظمها وأنها لفرط عظمتها تبلغ قلوب أولئك العصاه ، وينتهي ألمها إلي أفئدتهم ، فتستولي عليها استيلاء القادر المتمكن وقت إحراق ظاهر الجسد ، وأن حدوث ذلك لهم مستمر متجدد لا ينقطع لأنهم لا يموتون مما يزيد في ألمهم وتوجعهم ، كما يوحى لفظ " علي " بما فيه من استعلاء بكون هذه النار تستولي علي هذه الأفئدة استيلاء العالم بما تضمره هذه القلوب من كفر و ذنوب ، فتصيب كل فؤاد بما هو كفؤه من شدة الألم [1].

([1]) ينظر : غريب القرآن للسجستانى ٤٩٢ ، وتفسير الصنعانى ١ / ٣٤٣ ، والكشاف٣/٤٠٠ والبحر المحيط ٥ / ٤٢٤ ، وفتح القدير للشوكانى ٣ / ١٦٤ وروح المعانى ١٣ / ٢٤٧ ، والتحرير والتنوير ١٣ / ٢٤٧ .

([2]) ينظر : الكشف والبيان ١٠ / ٢٨٥ ، وتفسير الخازن ٧ / ٢٨٩ .

([3]) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٣٥ .

٣ ـ تخصيص لفظ الجمع " الأفئدة باطلاع النار عليها مع كونها تأكل جميع أجسادهم ينبئ عن سيطرة هذه النار علي جميع الجسد بدليل وصولها إلي القلب ، كما يشير إلي أن القلب ألطف شيء في الإنسان وأشد تألما من غيره من الأعضاء ، وفي تخصيصه بالذكر تنبيه علي أهمية العمل علي صلاحه وتقواه فلا يكون محلا للعقائد الفاسدة والأعمال القبيحة الموجبة لاطلاع النار عليه [٢] .

٦ ـ أكنة

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في أربعة مواضع هي علي الترتيب :

١ ـ قوله تعالي : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [٣]

٢ ـ قوله تعالي : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾[٤]

٣ ـ قوله تعالي : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾[٥]

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٨٥ ، والتحرير والتنوير ٣٠ / ٥١٤ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ٣٢ / ٨٩ ، و تفسير البيضاوى ١ / ٥٢٩ .

(٣) الآية ٢٥ في سورة الأنعام .

(٤) من الآية ٤٦ في سورة الإسراء .

(٥) الآية ٥٧ في سورة الكهف .

٤ ـ قوله تعالي : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [١]

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

تضمنت الآيات السالفة جمع قلة وهو قوله " أكنة الذي هو جمع قلة لـ " كنان بكسر الكاف وهو الغطاء ، كما يطلق علي كل ما يقي شيئًا ويستره[٢] ، يقول الفيومي : والكنان : الغطاء وزنا ومعنى والجمع أكنة مثل أغطية "[٣] ، و جاء في التاج : " والكن بالكسر : وقاء كل شيء وستره كالكنة والكنان بكسرهما "[٤] .

وجمع " كنان علي أكنة مما استغنى فيه بجمع القلة عن بناء الكثرة ، لأن أفعلة يلتزم في جمع ما كان علي فعال مما عينه ولامه مثلين ، والمادة اللغوية المكونة لهذا الجمع تدور حول الستر والإخفاء والتغطية [٥].

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

جاء استعمال النظم القرآنى لجمع القلة " أكنة " في المواضع المتقدمة في سياق واحد ، وهو سياق بيان ذلك الصنف من الكفرة المعاندين للحق المعرضين عن قبوله ، الذين لا تنفعهم دعوى ، ولا يستجيبون لنداء، لفرط عنادهم وتكبرهم وعمائهم عن الحق ، حتى كأن قلوبهم في هذه الحالة مستورة بأغطية كثيفة وحجب

---

(١) الآية ٥ في سورة فصلت .

(٢) ينظر : العين ٥ / ٢٨١ ، والصحاح ٧ / ٣٨ ، واللسان ١٣ / ٣٦٠ .

(٣) المصباح المنير ٢٧٩

(٤) ينظر : تاج العروس ٣٦ /٦٣ .

(٥) ينظر : معانى القرآن للأخفش ١/ ٢٣٦ ، ومقاييس اللغة ٥/ ١٢٣ ، و لسان العرب١٣/٣٦٠ ، والتحرير والتنوير ٧ / ١٣٩ .

ثقيلة مانعة من وصول الحق إليها[١] ، وقد أضفي استخدام الجمع في هذة الآيات عدة ومضات دلالية علي النحو التالي :

١ ـ الغرض من الجمع التكثير ، ومجيئه علي صيغة بناء القلة لأن جمع " كنان " جمع كثرة مما يقل في الكلام فجيء به جريًا علي الأكثر في الاستعمال ، ويكون مما ناب فيه بناء القلة عن بناء الكثرة ، وأيضا فالمقام مقام تكثير وجمع القلة كثيرًا ما يوصله المقام إلي جمع الكثرة . [٢]

٢ ـ التعبير بالجمع يوحى باستحالة إيمان هؤلاء الموصوفين ؛ وذلك لكثر الحواجز والموانع التى تمنع من وصول الحق إلي القلوب ، وليس ثمة أكنة علي الحقيقة بل من باب التخييل علي سبيل الاستعارة المكنية بجامع حيلولة وصول الدعوة إليهم كما يحول الغطاء دون إدراك ما تحته[٣] .

٣ ـ في تخصيص جعل الأكنة علي القلوب إشعار بطمس أداة الفهم والإدراك لدى هؤلاء الكفار باستحواذ الأكنة علي أفضل ما فيهم وهى قلوبهم فضلالها وزيغها عن الحق من أعظم ما ابتلوا به لما فيه من تعطيل بقية جوارحهم عن الإذعان للهدى وقبوله[٤] .

٤ ـ تعلق قوله " أن يفقهوه " بالجمع " أكنة " يصور مجازاة الله تعالي لهؤلاء إذ حرمهم من نعمة فهم القرآن وتذوق حلاوته ومن ثم الإيمان بما يقتضيه ، فحرموا من الفقه المؤدى إلي الانتفاع ، لما علم في أصل خلقهم من الإعراض

---

(١) ينظر : الأمثال القرآنية القياسية للجربوع ٢/ ٢٣١ .

(٢) ينظر : الدر المصون ١ / ٢٣٣٠ ، وروح المعانى ١ / ٨٠ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٧ / ١٧٩ .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٤ / ٣٨٧ ،

عن دعوة الحق[١] .

٥ ـ تزيد أية فصلت في بيان عادة المشركين من دعوة الحق وهدى الأنبياء ، فإذا كان هذا هو قول مشركى مكة معك يا محمد فقد سبقهم اليهود إلي ذلك مع أنبيائهم بقوله " وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ "[٢]

٧ ـ أودية

ورد هذا الجمع في موضع واحد من التنزيل العزيز وهو قولــه تعالي :

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [٣]

الدراسة والتحليل

أ ـ بين يدى الآية :

تأتى هذه الآية الكريمة في سياق الدلالة علي انفراده سبحانه وتعالي بالخلق والتدبير لجميع ما في هذه الكون ؛ وأنه وحده المتوحد بالخلق ، القهّار لكل شيء دونه ، وهي إحدى القضايا التي تعالجها السورة ، عن طريق ضرب المثل للحق والباطل ، للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح . للخير الهادئ والشر المتنفج . والمثل المضروب مظهر من مظاهر قوتة تعالي ، وهو من جنس المشاهد الطبيعية التي يمضي في جوها السياق ؛ لأن إنزال الماء من السماء حتى تسيل به

(١) ينظر : البحر المحيط ٤/ ١٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٠٤ .
(٢) من الآية ٨٨ في سورة البقرة
(٣) من الآية ١٧ في سورة الرعد

الوديان يتناسق مع جو البرق والرعد والسحاب الثقال في المشهد السابق؛ ويؤلف جانباً من المشهد الكوني العام ، الذي تجري في جوه قضايا السورة وموضوعاتها ، ذلك المشهد الذي يمر عليه الناس عليه دون انتباه [١].

ب ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " أودية " جمع قلة ومفرده " وادي " ، وأصل الوادى : الموضع الذي يسيل فيه الماء ، ومنه سمى كل مفرج بين جبلين واديًا ، و يطلق أيضًا علي الماء الجاري في هذا الموضع من باب اطلاق اسم المحل علي الحال ، واشتقاقه من قولهم : ودى الشيء إذا سال ، ووزن " وادى " فاعل ، وجمع فاعل علي أفعلة شاذ حتى قيل : إنه لم يسمع إلا في هذا الحرف وقولهم : ناد وأندية ، وتوجيهه أن " فاعل بمعنى فعيل ، لأنه لما كان ما علي " فعيل " يجمع علي أفعلة فكذلك جمع ما كان علي " فاعل " علي أفعلة ؛ لتعاقب صيغتى " فاعل وفعيل علي الشيء الواحد كقولهم " عالم وعليم[٢] .

ج ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

ضرب الله سبحانه وتعالي في هذه الآية مثلاً للحق وأهله ، وللباطل وحزبه عن طريق التمثيل بما هو مشاهد من نزول ماء المطر من السماء وسيلانه في الأودية كل علي قدر احتماله من الصغر والكبر ، وما يجري علي ذلك الماء من الزبد الذي يعلو علي وجه ولا يستقر ، فكذلك حال الحق والباطل ، من جهة أن

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، والتحرير والتنوير ١٣ / ١١٦ ، وفي ظلال القرآن ٤ / ٣٦١ .

(٢) ينظر في ذلك : مفاتيح الغيب ١٩ / ٢٩ ، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ٢٨٧ ، وروح المعانى ١٣ / ١٢٩ ، وروح البيان ٤ / ٢٣٦ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٨٣ ، وتاج العروس ٤٠ ، ١٧٩ .

الحق الذي ينفع الناس ثابت لا يزول ، وبه ينتفعون ويحيون ، ومثله كمثل الماء النازل من السماء المستقر في الأودية ، وكذلك الباطل في سرعة ذهابه وتلاشيه وعدم انتفاع الناس به كمثل الزبد الذي يعلو وجه ذلك الماء ثم لا يلبث أن يذهب ويضمحل [١].

وقيل إن الغرض من المثل هنا هو تشبيه الهدى الذي أنزله الله تعالي على رسوله لحياة القلوب والأرواح ، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح ، وشبه ما في الهدى من النفع العام الكثير ، بما في المطر من النفع العام الضروري ، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها في قدر احتمالها ، بالأودية التي تسيل فيها السيول ، فواد كبير ، يسع ماء كثيًرا ، ، وواد صغير ، يأخذ ماء قليلا ، وهكذا . وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات ، عند وصول الحق إليها ، بالزبد الذي يعلو الماء ، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له ، حتى تذهب وتضمحل ، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي ، كذلك الشبهات والشهوات ، لا يزال القلب يكرهها ، ويجاهدها بالبراهين الصادقة ، والإرادات الجازمة ، حتى تذهب وتضمحل ، ويبقى القلب خالصا صافيا ، ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق ، وإيثاره ، والرغبة فيه ، فالباطل يذهب ويمحقه الحق[٢] .

وقد استعمل النظم القرآنى في هذه الآية بناء جمع القلة " أودية " مما أضفي علي الآية عدة دلالات منها :

([١]) ينظر : البحر المحيط ٥ / ٣٧١ ، والمحرر الوجيز ٣ / ٣١٣ ، والجدول في إعراب القرآن ١٣ / ١١٤ .

([٢]) ينظر : مفاتيح الغيب ١٩ / ٢٩ ، والتفسير القيم ١ / ٤٨٨ ، ومختصر تفسير البغوى ٤/٢٣١ ، وفيض الرحمن في تفسير جواهر القرآن ١ / ٢٢٠ .

١ . الغرض من بناء جمع القلة التكثير لما يفسره سياق الآية من كون نزول الماء من السماء قد سلكه الله تعالي في أودية كثيرة لينتفع الناس به ، فتكون صيغة بناء القلة مما يستعمل في الأمرين .

٢ . أفاد التنكير في جمع الفلة " بيان أن المطر النازل من السماء لا يأتى إلا عن طريق المناوبة بين بقاع الأرض فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض[١] .

٣ . قوله تعالي " بقدرها " يوحى دلاليًا بلطف الله تعالي بعباده إذ جعل نزول الماء من السماء علي قدر تلك الأودية من الصغر والكبر ، كما يشير إلي كمال قدرته تعالي بالتصرف علي وجه الحكمة والتدبير للمخلوقات [٢]من جهة كون أخاديد الأودية مجعولة علي قدر ما تحتمله السيول من الماء بحيث لا تفيض عليها وهو غالب حال الأودية ، ولهذا حظ من التشبيه فيما عليه اختلاف الناس في قابلية الانتفاع بما أنزل الله [٣].

٨ ـ أجنة

جاء هذا الجمع في موضع واحد من الذكر الحكيم وهو قوله تعالي ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[٤]

---

(١) ينظر : الكشاف ٢ / ٤٩٣ ، ومفاتيح الغيب ١٩ / ٢٩ .

(٢) ينظر : روح البيان ٤ / ٢٣٦ ، وفي ظلال القرآن ٤ / ٣٦١ .

(٣) التحرير والتنوير ١٢ / ١٦٦ ، و١٣ / ١١٨ .

(٤) من الآية ٣٢ في سورة النجم

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

قوله تعالي " أجنة بوزن أفعلة جمع قلة لـ " جنين " والجنين يطلق علي الولد ما دام في بطن أمه ، وسمى جنينًا لاستتاره ، وهو فعيل بمعنى مفعول أى مجنون مستور ، والمادة اللغوية للجمع تدور حول الاستتار والتخفي ، ومنه قولهم : حقد جنين أى خفي مستور ، وتسميتهم للقبر جنينا ؛ لأنه يستر من دخل فيه [١].

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

تأتى هذه الآية الكريمة في سياق وصف المحسنين الذي يستحقون الحسنى من الله وهى دخول جنته أولئك الذين من صفتهم أنهم يجتنبون كبائر الآثام وعظائم الذنوب ، فيغفر لهم ربهم ما قد يصيبونه ويجترحونه من الصغائر، لأنه العالم بهم من حيث ميلهم إلي الشهوات وضعفهم بحكم خلقتهم [٢]، وقد استعمل النظم القرآنى صيغة بناء القلة " أجنة " مما أكسب الآية أنماطا دلالية تبرز فيما يلي :

١ . الجمع كما يقتضيه المقام محمول علي إرادة الكثرة ، لأن الله تعالي يمتدح نفسه بإحاطة علمه بجميع أحوال الإنسان أولاً وآخرًا من بداية نشأة أصله من تراب وهو أدم ، وكذلك وقت كونه جنينًا في بطن أمه [٣].

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ١ / ٤٢١ ، و الكشف والبيان للثعلبي ٩ / ١٥٠ ، ومفردات غريب القرآن ١ / ١٩٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١١٠ ، وتفسير الجلالين ١ / ٧٠٢ ، وتاج العروس ٣٤ / ٣٦٦ ، والتحرير والتنوير ٢٧ / ١٢٤ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٧ / ١٢٣ .

(٣) ينظر : معانى القرآن للفراء ، وتفسير السمعانى ٥ / ٢٩٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٦٢ .

ومما يقوى إرادة الكثرة تقييد العلم بحال الأجنة بحال كونها في بطون الأمهات ، إذ أن قوله تعالي " بطون " جمع كثرة يستلزم كون الأجنة التى تحتويها كثيرة أيضًا .

٢ ـ يتلاقي التعبير بالجمع المفيد للكثرة مع تعدد الأطوار التى يمر بها الجنين في بطن أمة من طور النطفة إلي طور العلقة إلي طور المضغة وما بعدها ، ويؤكد ذلك قوله تعالي : " يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْق" [١] أى طورًا من بعد طور [٢] ، وما روى في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد "[٣] .

٣ ـ إسناد العلم بحال الإنسان ـ وقت كونه جنينًا ـ إلي الله عز وجل فيه تنبيه علي كمال قدرته تعالي وإحاطة علمة بجميع أحوال ذلك الإنسان ؛ لأن من علم حال الأجنة في بطون الأمهات التى هى في غاية الظلمة لا يخفي عليه شيء من أحوالها بعد خروجها منها [٤].

---

(١) من الآية ٦ في سورة الزمر .

(٢) ينظر : تفسير الثورى ١ / ٢٦٢ ، ونظم الدرر ٦ / ٤٢٢ .

(٣) الحديث في صحيح البخاري ٩ / ١٣٥ ، و صحيح مسلم ٤ / ٢٠٣٦ ، وصحيح ابن حبان ١٤ /٤٧ ، وسنن أبي داوود ٤ / ٣٦٤ ، وسنن ابن ماجه ١ / ٢٩ .

(٤) ينظر : اللباب ١٨ / ١٩٩ ، والبحر المحيط ٨ / ١٦٣ ، وروح المعانى ٢٧ / ٦٤ ، والتحرير والتنوير ٢٧ / ١٢٥ ،

٩ ـ آنية

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في موضع واحد وهو قوله تعالي : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ا﴾ [١]

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع :

قوله تعالي " بآنية " جمع قلة مفرده " إناء " بالمد ، وأصله " أأنية " بزنة أفعلة " اجتمع في أول الجمع همزتان الأولي مزيدة ، والثانية أصلية " فاء الكلمة " فخففت ثانيتهما بإبدالها ألفا وجوبًا ، والإناء : ما يوضع فيه الشيء وهو : اسم لكل وعاء يرتفق له ، ومعنى ذلك أنه يطلق علي كل وعاء يقصد للاستعمال والمداولة للأطعمة والأشربة ونحوهما من أى جنس كان ، والظاهر عدم إطلاقه علي ما يتخذ للخزن كالقربة ونحوها فلا يسمى وعاء ، وسمى الإناء لن قد بلغ أن يعتمل بما يعانى به من طبخ أو خرز أو نجارة ، والمراد بالآنية في الآية أنية مجالس الشرب بدلالة ذكر الأكواب بعدها[٢] .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق :

تأتى هذه الآية الكريمة في مقام بيان ما أعده الله تعالي لعباده الأبرار من ألوان النعيم وصنوف الإكرام ، وبعد أن ذكرت الآيات السالفة علي هذه الآية وصفا

---

(١) الآية ١٥ في سورة الإنسان .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ٥ / ٢٣٨ ، ومقاييس اللغة ١ / ١٤١ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري ١ / ٣٩ ، و المحرر الوجيز ٥ / ٣٨٤ ، والبحر المديد ٨ / ٣٠٣ ، والدر المصون ١ / ٥٥٦١ ، والتحرير والتنوير ٢٩ / ٣٩١ ، ولسان العرب ١٤ / ٤٨ ، والتاج ٣٧ / ١٠٧ .

لطعام أهل الجنة ولباسهم ومساكنهم جاءت الآية لتصف شرابهم مقدمًا عليه وصف تلك الأوانى التى يشربون فيها[١] .

وقد أضفي استعمال الجمع الذي علي بناء القلة عدة ملامح دلالية من أهمها :

١ . الغرض من الجمع إرادة التكثير لأن المقام مقام بيان ما أعده الله تعالي للإبرار من عباده من مجالس للشراب يطاف عليهم فيها بآنية كثيرة ، وعلي هذه فتكون صيغة بناء القلة مستعملة في الكثرة علي النيابة .

٢ . عطف الجملة المشتملة علي الجمع علي قوله تعالي " وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا " يوحى في المعنى بكون ذلك الطواف بالآنية من أنواع الإكرام وصنوف التنعم لأن ذلك من ضمن جزاء الأبرار في الأخرة .

٣ . وصف الجمع " آنية " بكونها من فضة مع تقدم وصفها بأنها من الذهب في سورة الزخرف في قوله " ويطاف عليهم بصحاف من ذهب " يتضمن الإشعار بكون أوانى أهل الجنة من هذين المعدنين النفيسين ، فهى تارة من فضة وأخرى من ذهب لئلا يفوتهم ما في كل منهما من حسن وجمال ، أو لأنها حين تتزاوج وتتنوع تكون أبهى منظرًا [٢].

٤ . وصف الجمع " آنية " بأنها من فضة للإشارة إلي كونها متخذة من أرق ما يكون ، فقد جمعت إلي بياض الفضة صفاء الزجاج [٣] ، كما يوحى بكون تربة أهل الجنة أيضا من الفضة ؛ لأن كل آنية تتخذ من تربة الأرض التى هي فيها كما

---

(١) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي ١٠ / ١٠٣ ، واللباب ٢٠ / ٣٢ ، ومفاتيح الغيب٣٠/٢١٩ ، وفي ظلال القرآن ٧ / ٤١٧ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٩٢ .

(٣) ينظر : الكشف والبيان ١٠ / ١٠٣ ، وتفسير ابن كثير ٨ / ٢٩١ .

ذكر العلامة الطبري[١] .

٥ . بناء الفعل المسند إلي الجمع " يطاف " إلي ما لم يسم فاعله يوحى بكون المقصود والمعتني به هنا هو " الآنية " لا من يطوفون بها من الولدان [٢]، تنبيهًا علي حسنها وبهائها واشتمالها علي أنواع المحاسن .

١٠ ـ ألسنة

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في عشرة مواضع هي علي الترتيب :

١ . قوله تعالي : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّـهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّـهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٣] .

٢ . قوله تعالي : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَياً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ ﴾ [٤] .

٣ . قوله تعالي : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّـهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾[٥]

٤ . قوله تعالي : ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [٦] .

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٢٤ / ١٠٤ .

(٢) ينظر : روح البيان لاسماعيل حقي ١٠ / ٢٠٩ .

(٣) الآية ٧٨ في سورة آل عمران .

(٤) من الآية ٤٦ في سورة النساء .

(٥) الآية ٦٢ في سورة النحل

(٦) الآية ١١٦ في سورة النحل

٥ . قولـه تعالي : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَـهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُـونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِـهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَـهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١).

٦ . قولـه تعالي : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

٧ . قولـه تعالي : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (٣)

٨ . قولـه تعالي : ﴿ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ (٤) .

٩ . قولـه تعالي : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (٥) .

١٠ . قولـه تعالي : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٦).

---

(١) الآية ١٥ في سورة النور

(٢) الآية ٢٤ في سورة النور

(٣) الآية ٢٢ في سورة الروم

(٤) من الآية ١٩ في سورة الأحزاب

(٥) من الآية ١١ في سورة الفتح

(٦) من الآية ٢ في سورة الممتحنة

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

" ألسنة " جمع قلة مفرده " لسان " وهو : العضو المعروف وجارحة الكلام ، يذكر ويؤنث [١] ، فمن ذكره جمعه علي " ألسنة " ومن أنثه جمعه علي " ألسن " يقول سيبويه :

" وأما من أنث اللسان فهو يقول " ألسن " ومن ذكر قال " ألسنة "[٢] ، والغالب فيه التذكير ولذا جاء في القرآن الكريم كله مذكرًا [٣] .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

أولاً : آيتى أل عمران والنساء :

يكاد يتحد سياق آيتى آل عمران والنساء في أنهما في معرض الذم والتوبيخ لأهل الكتاب عامة ، واليهود علي وجه الخصوص الذين كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله ، ويحرفونه ويبدلونه ويلوون ألسنتهم به بقصد الإلباس علي المؤمنين ، وتضليلهم عن سواء عقيدتهم ، فإضافة إلي التبديل والتغيير والتحريف الذي قاموا به خاصة فيما غيروه من الآيات الدالة علي صفته صلي الله عليه وسلم[٤] ، نراهم يلوون ألسنتهم لدى مخاطبة النبي صلي الله عليه وسلم علي طريق السخرية والاستهزاء والسب ، فينطقون ألفاظا تحتمل أكثر من وجه ليعطى اللفظ في السمع صورة تشبه صورة كلمة أخرى يريدونها ، من ذلك قولهم " اسمع

---

(١) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج ٣ / ٨ ، و جمهرة اللغة ١ /٤٨١ ، ومقاييس اللغة ٥ / ٢٤٦ ، وكفاية المتحفظ ٦٣ ، واللسان ١٣ / ٣٨٥ .

(٢) ينظر : الكتاب ٣ / ٦٠٦ .

(٣) ينظر : المزهر ٢ / ١٩٨ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٢ / ٥٢٧ .

غير مسمع " علي معنى " لا سمعت " أى جعلت أصمًا لا يسمع ، وقولهم " راعنا " فينطقونها علي ما يحتمل السب والشتم من الرعونة ، أو من الرعى علي معنى " أنت راعينا " ، وقولهم في السلام " السام عليكم " بمعنى الموت عليكم وأشباه ذلك [1].

ومن المكتسبات الدلالية لاستخدام جمع القلة هنا ما يلي :

١ ـ إيثار التعبير القرآنى استخدام جمع القلة " ألسنتهم " في الآيتين مع إضافته إلي ضمير جماعة اليهود وأهل الكتاب للإشارة إلي كثرة أولئك الذي يحرفون كلام الله ويبدلونه من أهل الكتاب عامة واليهود خاصة ، وأن ذلك الحكم ينسحب عليهم في كل العصور والأجيال ، ولا يقدح في إرادة التكثير ما ورد من نزول آية أل عمران في طائفة خاصة من اليهود كحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف[2] ، لأن العبرة بما يقتضيه عموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومما يدعم إرادة التكثير مجيء جملة " يلوون ألسنتهم " في موقع الصفة لـ " فريق " الذي هو اسم جمع الدال علي الكثير[3] .

٢ ـ يلمح من إضافة الفعل " يلوون " إلي "الألسنة " المجموعة حدوث ذلك الأمر ـ وهو التحريف والتبديل والتغيير ـ وتجدده من هؤلاء علي وجه يشعر بكونه صار ديدنا لهم وعادة .

٣ ـ التزام النظم القرآن التعبير بالمادة اللغوية للفعل " لوي " مرة بالفعل " يلوون " وأخري بالمصدر" ليًا " مع تعلقهما بالألسنة للإشارة إلي وقوع ذلك منهم علي سبيل

---

(١) ينظر في ذلك : الكشف والبيان للثعلبي ٣ / ١٠٠ ، ٣ / ٣١١ ، والوجيز للواحدى ٢١٩/١، ٢٦٧ ومفاتيح الغيب ، وتفسير ابن كثير ١ / ٣٧٣ ، والتحرير والتنوير ٥ / ٧٦ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري ٦ / ٥٣٥ ، وزاد المسير ١ / ٤١١ ،

(٣) ينظر : اللباب ٥ / ٣٤١ ، وجامع الدروس العربية ٨ / ٤٠ .

التكلف والاجتهاد في تغيير المنزل ، وتحريف الكتاب ، لأن أصل اللي : الفتل والقلب والإمالة وتغيير الشيء عن وجهه . [1]

ثانياً : آيتى النحل

قوله تعالي : " ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى" إخبار عن فظائع المشركين . عليهم لعائن الله . في نسبتهم إليه . سبحانه وتعالي . كل ما يكرهونه لأنفسهم وهى أشياء كثيرة منها : كراهيتهم للبنات والجواري وتفضيلهم البنون عليهن ، ومع ذلك ينسبونها إلي الله تعالي ، وهو ما عبر عنه القرآن بطريقة الاستفهام في قوله : " أم له البنات ولكم البنون [2] " ، وكراهيتم أن يشاركهم أحد في أموالهم ومع ذلك لا يكرهون أن يشركوا مع الله تعالي آلهة أخري ، واستخفافهم برسل الله تعالي في الوقت الذي يكرهون فيه أن يستخف برسلهم في أى أمر ، وجعلهم كرائم المال لأصنامهم وأرذالها له سبحانه ، وغير ذلك من الأوصاف التى لا تليق بذاته المقدسة ، وعلي الرغم من هذة الإساءة القبيحة والجرم العظيم يزعمون أن لهم الجزاء الحسن في الآخرة من دخول الجنة والفوز برضوان الله[3] .

أما الآية الثانية : ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ ففيها إخبار عما جرت عليه عادة المشركين من الزيادة والنقصان في المحرمات

([1]) ينظر : مقاييس اللغة ٥ / ٢١٨ ، الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٢١ ، والتحرير والتنوير ٣/ ٢٩١ .

([2]) ينظر : الكتاب ٣ / ٦٠٦ .

([3]) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٠ / ٤٩ ، و الكشاف ٢ / ٥٧٣ ، وروح المعانى ١٤ / ١٧٢ ، والتفسير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوى ١ / ٢٥٣٥ .

والمحلات بأهوائهم [١] من ذلك : تحريمهم البحيرة[٢] والسائبة[٣] والوصيلة[٤] والحام[٥] ، ومن ذلك قولهم كما عبر القرآن : " وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا [٦] .

وقد أضفي استعمال النظم القرآنى لجمع القلة " المضاف إلي ضمير الغائبين تارة ، وضمير المخاطبين تارة أخرى ظلالا من الدلالة علي الآيتين يمكن بيانها علي النحو التالي :

١ـ التعبير بجمع القلة المضاف في الآيتين يوحى بكثرة أولئك المشركين الذي ينسبون إليه سبحانه ما لا يليق ، وأولئك الذين يحرمون ويحللون تبعًا لأهوائهم

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤ / ٣١٩ ، و مفاتيح الغيب ٢٠ / ١٠٤ ، والبحر المحيط ٥ / ٥٢٦ .

(٢) البحيرة : بفتح الباء وكسر الحاء بعدها ياء ساكنة وراء مفتوحة هى :الناقة التى نتجت عشرة أبطن فتشق أذنها نصفين ، ولا ينتفع منها بلبن ولا ظهر وتترك للرعى ويحرم لحمها علي النساء دون الرجال .

ينظر : المحكم ٣/ ٣٢١ ، واللسان ٤ / ٤١ .

(٣) السائبة : هى الناقة التى كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحو .

ينظر : اللسان ١ / ٤٧٧ .

(٤) الوصيلة :هى الشاة تلد أنثي فتكون لهم ، وتلد ذكرا فيجعل لآلهتم ، وقيل هى الناقة التى وصلت عشرة أبطن ، ومن الشاء التى وصلت سبعة أبطن عناقين فإن ولدت في السابع عناقا قالوا وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء .

ينظر : المحكم ٨ / ٣٧٦ ، واللسان ١١ / ٧٢٦ .

(٥) الحام : هو الفحل يضرب عشرة أبطن فإذا بلغها قالوا له حام أى حمى ظهره فيترك في المرعى ولا ينتفع منه بشيء ، وقيل هو الذي طال مكثه عندهم .

ينظر : المحكم ٣ / ٤٥٤ ، واللسان ١٤ / ١٩٧ .

(٦) من الآية ١٣٩ في سورة الأنعام .

دون الاستناد إلي هدى من شرع أو دين ، فتكون صيغة بناء القلة مستعملة للإرادة الكثرة مجازًا .

٢ ـ إضافة " جملة " تصف " إلي " الألسنة " المجموعة يشعر بأن ما يزعمونه من نسبة هذه الأشياء التى يكرهونها إلي الله تعالي ، و التحريم والتحليل الذي يدعونه ما هو إلا مجرد قول باللسان فارغ لا حقيقة له في الواقع ، ولا يؤيده دليل لافتقاره إلي سند[١] .

٣ ـ التعبير عن مقولة ألسنتهم " بأنها تصف الكذب " تعبير بليغ يزيد في دلالة كذبهم وافترائهم في جميع ما قالوه ، سواء في نسبتهم لله ما لا يليق ، أو تحريمهم وتحليلهم لغير مابين الله ، حيث جعل " ألسنتهم " نفسها ناطقة بالكذب مصورة له تحكية وتصفه بذاتها وذلك لكثرة ما قالت من الكذب وعبرت عنه حتى أضحت هى بنفسها رمزًا للكذب ودليلاً عليه ، فكأن " ألسنتهم " شخص عالم بكنه الكذب محيط بحقيقته يصفه للناس أبين وصف ، ويعرفه أجلي تعريف ، وهذا التعبير ـ ولله المثل الأعلي ـ كما يقال " عينه تصف الحور ، وقوامه يصف الرشاقه " فإن معناه إن قوامه بذاته ، وعينه بذاتها تعبير تام كامل عن الرشاقة والحور[٢].

٤ ـ عطف جملة " وتصف ألسنتهم الكذب " علي جملة " ويجعلون لله ما يكرهون " فيه إشارة إلي جهلهم المطبق ، وسوء حكمهم النابع عن تخبطهم في الجهالة والحمق ذلك الحكم الذي لا يقره عقل إذ كيف ـ بعد جعلهم ونسبتهم له تعالي ما يكرهونه لأنفسهم ـ يتوقعون أن يجازيهم علي مثل هذا العمل الجزاء الحسن في الآخرة .[٣] ؟ .

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤ / ٣١٩ .

(٢) ينظر : الكشاف ، وتفسير أبي السعود ٥ / ١٤٧ ، وفي ظلال القرآن ٤ / ٤٧٣ .

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤ / ٢٨٢ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٩٠ .

ثالثاً : آيتى النور

الآية الأولي وهي قوله تعالي : " إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم "

فهي في سياق استحضار حادثة الإفك ، وتصوير حال الخائضين فيه ، وبيان للوقت الذي لولا فضل الله ورحمته لأصاب الذين خاضوا فيه عذاب أليم[١] .

والمتأمل في النظم القرآنى ، وإيثار التعبير بجمع القلة يلحظ إشارات دلالية تكمن وراء ذلك منها :

١ ـ استخدام جمع علي بناء القلة مضافاً إلي ضمير الغائبين للإيحاء بكثرة أولئك الذين تكلموا في هذه الحادثة ، وأنهم كانوا من الوفرة بحيث أسهموا في انتشار هذا الأمر ذلك حتى شاع واشتهر بين المسلمين عن طريق تلقي بعضهم عن بعض هذا الحديث فيقول بعضهم " سمعت كذا وكذا ، ويقول آخرون " بل كذا وكذا فلم يكونوا فردا أو أفرادا بل كانوا كما عبر القرآن " عصبة وهى تطلق في اللغة علي الجماعة من الواحد إلي الأربعين متمثلة في غالبية اليهود والمنافقين إضافة إلي من زل من المسلمين [٢] .

٢ ـ تعلق الألسنة المجموعة بالفعل " تلقونه " يزيد من بيان مدى كذب هذا القول الذي تناقلوه فيما بينهم ، وأنه مجرد قول تلوكه الألسنة لا أصل له في الحقيقة فهو قول ملقي عرضًا لا يجاوز ألسنة قائليه إلي أن تعتقده قلوبهم ، وهذا ما كشفه الجمع القرآنى بين " الألسنة والأفواه " ، كما يوحى بما كان عليه أولئك المتكلمون

---

(١) ينظر : زاد المسير ٦ / ٢١ ، والتحرير والتنوير ١٨ / ١١٧ .

(٢) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي ٧ / ٧٧ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ٢٨ ، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٦٤ .

في الإفك من خفة واستهتار وقلة تحرج لتناولهم أعاظم الأمور وأخطرها بلا تدبر وإمعان فكر[١] .

٣ . المادة اللغوية للفعلين " تلقونه " المتعلق بالألسنة " و" تقولون " المتعلق " بالأفواه " تدور حول الخفة والحركة وهو ما يتناسب مع ذيوع خبر هذه الحادثة بين المسلمين ، ومما يدعم ذلك أن الفعل " تلقونه " مخفف بحذف إحدى تاءيه للدلالة علي السرعة وأصله " تتلقونه " ، وأيضًا ما قرأت به عائشة . رضي الله عنها . " تقلونه " بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف علي معنى تخفون فيه وتسرعون أخذا من قولهم : جاءت الإبل تلق أى تخف وتسرع [٢].

أما الآية الثانية فهى قوله تعالي : ﴿ يوم تشهد عليه ألسنتهم وأيديهم بما كانوا يعملون ﴾

فبعد أن ذكر سبحانه و تعالي جزاء الذين يرمون المحصنان الغافلات المؤمنات ، وأنهم ملعونون في الدارين إضافة إلي ما ينتظرهم من عذاب عظيم في الآخرة ، وهى عامة فيمن كان علي هذه الصفة وإن كانت لأجل الصديقة بالأولي ، تأتى هذه الآية لتصور حال هؤلاء ومن علي شاكلتهم ممن خاضوا في الإفك حين لا يستطيعون إنكار ما فعلوه من قذف للمحصنات لشهادة جوارحهم بما اقترفوه من الإثم وارتكبوه من العصيان[٣] .

والمتأمل في مفردات الآية وسياقها يلحظ الإضافات الدلالية التالية :

---

(١) ينظر : تفسير الخازن ٥ / ٦٣ ، وتفسير البيضاوى ١ / ١٧٨ ، وفي ظلال القرآن ٢٦٧/٥ .

(٢) ينظر : معانى القرآن للنحاس ٤ / ٥١٠ ، و مفردات غريب القرآن للراغب ٢ / ٥٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٢٠٤ .

(٣) ينظر: نظم الدرر ٥ / ٢٤٩ ، ومفاتيح الغيب ٢٣ / ١٦٨ .

١ . الإتيان بلفظ الزمان " يوم " علي اختلاف متعلقه[١] ، وتنكيره ، مشعر بما في هذا اليوم من الأحوال والأهوال التى يفزع منها والتى أقلها شهادة الجوارح والأعضاء [٢] .

٢ . تعلق الفعل " تشهد " بألفاظ الجوارح المجموعة علي بناء القلة يزيد في دلالة حضور هذه الشهادة وثباتها واستمرارها مما لا يستطيع معه منكروها دفعها أو التنصل منها .

٣ . الإتيان بجموع القلة مضافة إلي ضمير الجمع يشي بكثرة الذي يقعون في عرض المحصنات من المؤمنات فضلا عن كثرة الذين وقعوا في عرض ابنة الصديق،وأنهم سيتعرضون لهذه المحنة العظيمة من شهادة جوارحهم عليهم[٣] .

٣ . تقديم الجار والمجرور " عليهم " علي ألفاظ الجوارح المجموعة يوحى بكون شهادة هذه الأعضاء مما يضر بأصحابها وأنها سبيل لهلكتهم ، وناسب ذلك استخدام " حرف " علي " المشعر بالجزاء والمعاقبة علي تلك الجريمة .

٤ . تخصيص هذه الجوارح بالشهادة مع ما يؤخذ من عموم شهادة الجسد في قوله تعالي وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا "[٤] مشعر بما لهذه الأعضاء خاصة من عمل مميز في عملية رمى المحصنات من القول بالألسنة ، أو الإشارة باليد ، أو السعى بالأرجل للمجالس التى يتداول فيها هذه الأمر .

---

(١) سواء أكان بما قبله من قوله " ولهم عذاب عظيم " أو بما بعده من قوله " تشهد " أو تعلقه بمحذوف تقديره " أذكر " .
ينظر في ذلك : فتح القدير ٤ / ٢٦ .

(٢) ينظر : فتح القدير ٤ / ٢٦ ، وروح المعانى ١٨ / ١٢٩ .

(٣) ينظر : في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٤ بتصرف .

(٤) من الآية ٢١ في سورة فصلت .

٥ . تقديم شهادة " الألسنة " وعطف " الأيدى " و " الأرجل " يؤخذ منها دلاليًا كون اللسان في الغالب هو ما يقع في هذه الكبيرة ، وأن شهادة هذا العضو بالذات جزاء رادع لصاحبه إذ جعلت هلكته بنفس العضو الذي تم به القذف ، كما يوحى باحتمال إنكار ألسنتهم لما اقترفوه ظانين معه النفع ، فتكون شهادة الأيدى والأرجل ضاحضة لهم رادعة لكذبهم وزورهم لذا جاءت بعده معطوفة عليه [١] .

رابعاً : آية الروم

قوله تعالي : ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين "[٢]

الآية في سياق بيان مظاهر قدرته تعالي وتعداد نعمه علي عباده التى منها : خلق السموات والأرض علي هذا النسق العجيب والنظام المبدع ، وتباين الألسنة وتمايز الألوان واختلافهما بين بنى البشر .

وقد آثر التعبير القرآنى هنا استعمال جمع القلة المضاف إلي ضمير الجماعة " ألسنتكم " للإشعار بأن اختلاف الألسنة وجه من وجوه الإبداع في الخلق ، ومظهر من مظاهر طلاقة القدرة ، فالبشر بحكم اتفاقهم في أصل النوع متشابهون في الهيئة والتركيب وإنما يقع التباين بينهم عن طريق اختلاف ألسنتهم ، وليس المراد بالألسنة هنا العضو المعروف وجارحة الكلام ، وإنما المراد بها : اللغات التى جبل الله عليها الخلق ، إذ ألهم سبحانه كل صنف من خلقه لغة تغاير لغة غيره ، وهذا أمر مشاهد فالاختلاف بين اللغات البشرية أمر هائل والبون فيما بينها شاسع ، وعلي احتمال كون المراد بالألسنة : أجناس النطق وأشكاله ، فذلك أيضا أكثر من أن يحصي ، فالصوت والنغمة الصوتية لا تكاد تتفق في منطقيين ، فلكل إنسان

([١]) ينظر : نظم الدرر ٥ / ٢٤٩ ، والتحرير والتنوير ١٨ / ١٩١ .

([٢]) الآية ٢٢ في سورة الروم .

صوته المميز عن غيره حتى بين التوأمين[١] وهذا ما أكده العلم الحديث من وجود بصمة للصوت أكثر دقة من بصمات الأصابع، وهو من دلائل قدرته تعالي وشبيه بقوله " يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ "[٢] .

وإذا ما بحثنا عن الإضافات الدلالية للجمع في الآية نستطيع استخلاص التالي :

١ ـ الغرض من الجمع التكثير لأن المراد كثرة الألسنة واختلافها وهذا يتناسب مع مقام تعداد النعم الذي تسرده الآية .

٢ ـ الجمع بين " الألسنة " و " الألوان " وتعلق اختلافهما بقدرته تعالي إشارة لما في هذا التمايز من النعمة العظيمة التى تزيل الالتباس الحاصل من التشابه المطلق في الخلقة ، كما يؤخذ منه أيضًا كون المعرفة الحقيقة بين بنى البشر تكون عادة عن طريقين : أحدهما طريق البصر الذي يميز بين الألوان ، والأخر : طريق السمع الذي يفرق بين اللغات وأصوات النطق، فجمع بينهما لتتم وجوه المعرفة الحقيقية [٣] .

خامساً : آيتى الأحزاب والممتنحة

تكاد تتفق الآيتين الكريمتين في سياقهما وأنهما في معرض ذم المشركين و المنافقين وبيان صفاتهم الدنيئة وخصالهم الذميمة ، فآية الأحزاب وهى قوله تعالي : فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد " تصور صفة المنافقين الذين كانوا يثبطون أنصار النبي صلي الله عليه وسلم عن نصرته ـ في غزوة الأحزاب ـ داعين

---

(١) ينظر : اللباب ١٥ / ٣٩٧ ، والنكت والعيون للماوردى ٤ / ٣٠٦ ، وروح المعانى ٣١/٢١ .

(٢) من الآية " ٤ " في سورة الرعد .

(٣) ينظر : تفسير السراج المنير ٣ / ١٤٧ .

إلي الانفضاض عنه بغية هدم هذا الدين والقضاء عليه ، وهى ترسم لنا صورة بشعة ومنفرة من أحوال أولئك المنافقين عن طريق تصوير ما هم عليه في حالتي السلم والحرب مع المسلمين ، وأن حالتهم في كلا الأمرين لا تنفك عن خسيسة ودنيئة من صفاتهم ، فهم حالة الحرب والقتال جبناء بخلاء يشحون بأنفسهم عن نصرة المسلمين ، فلا يأتون البأس إلا قليلاً مصانعة للمسلمين ثم ينصرفون ولا يشهدون معهم القتال .

أما في حالة السلم والرخاء فنراهم يتناولون المسلمين بالغيبة والنقص ، ولا يتورعون عن مطالبتهم بقسمتهم في الغنائم رغم عدم شهودهم القتال بألسنة حادة مؤذية [1] .

وبالنظر إلي المكتسبات الدلالية لاستخدام جمع القلة " ألسنة " هنا يمكن توضيح ما يلي :

١ . بالنظر لسياق الآية فإن التعبير بالجمع " لإرادة التكثير ؛ لأن المراد ألسنة جماعة كثيرة من المنافقين ، فتكون صيغة بناء القلة هنا نائبة عن صيغة الكثرة .

٢ . تعلق لفظ " الألسنة " بالفعل " سلق " وإسناده إلي ضمير جماعة المنافقين يزيد في تأكيد ما وصف به هؤلاء من فصاحة في اللسان وحسن الحديث كما قال تعالي : " وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [2] لأنه يقال " خطيب صلق وسلق ومصلاق : إذا كان بليغًا ، وفيه إشارة لخوائهم وأنهم صور بلا معنى[3] .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٦ / ٣٩٠ وما بعدها ، والمحرر الوجيز ٤ / ٤٣٣ .

(٢) من الآية " ٤ " في سورة المنافقون .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٥٢ ، والمحرر الوجيز ٤ / ٤٣٣ ، والتحرير والتنوير ٢١ / ٢٩٨ .

٣ . نعت " الألسنة " بأنها " حداد " مع ما تشعر به هذه المادة اللغوية للنعت للإيحاء بمدى تأثير هذه الألسنة في نفوس المسلمين ، وأنها تؤذيهم لذرابتها وحدتها ولما ينالهم منها من غيبة ونقص ، ومطالبة بحق ليس لهم فيه وهو الغنائم ، إذ تمتد ألسنتهم بالمطالبة به عن طريق قولهم " أعطونا أعطونا ، فإنا شهدنا معكم القتال ولم تنتصروا إلا بمعونتنا ، ولستم أحق بالغنيمة منا ، وغير ذلك من أقوال تتعالي في مدح أنفسهم بالشجاعة والنجدة رغم كذبهم في هذا كله[١] .

أما آية الممتحنة وهى قوله تعالي : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾

فتصور حال المشركين . إن كتب لهم الغلبة والنصر علي المسلمين . وما يكون منهم من عداء ظاهر للمسلمين عن طريق الحرب والقتال أو عن طريق الإيذاء باللسان والتناول بالنقص والبهتان[٢] .

والناظر في سياق الآية ومفرداتها يلمح بعض الإشارات الدلالية منها علي النحو التالي :

١ . مجيء هذه الآية في مقام التعليل لما تقدم عليها من قوله تعالي " وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ "[٣] للإيذان بوجود العداوة الأبدية بين المشركين والمسلمين وأنها باقية في نفوسهم لا تزول ، ومن ثم تعظيم النهى عن اتخاذ الكفار أولياء ، وأن من يفعل ذلك خوفًا منهم أو مصانعة لهم فقد عمى عن الطريق القويم [٤] .

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٦ / ٣٩٠ ، وتفسير الخازن ٥ / ٢٤٥ ،

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١ / ٨٥٤ ، وتفسير ابن كثير ٨ / ٨٥ ، وتفسير النسفي ١٩٤/٤.

(٣) من الآية " ١ " في سورة الممتحنة .

(٤) ينظر : نظم الدرر ٧ / ٥٥١ ، وزاد المسير ٨ / ٢٣٣ ، والتحرير والتنوير ٢٨ / ١٣٩ .

٢ . افتتاح الآية بأداة الشك يوحى بفرضية تمكن المشركين من المؤمنين والظفر بهم مع استبعاد حدوث ذلك ، وتنبيه لم قد يدخل الشك في قلبه من ناحية زوال عداوة هؤلاء للمسلمين فيسارع إلي مودتهم[١] .

٣ . التعبير بالفعل المضارع " يكونوا " مشعر بعراقة الكفار في عدواة المسلمين واستمرارها وتجددها علي مر العصور [٢].

٤ . التعبير بالجمع المبنى علي صيغة القلة مع إضافته إلي ضمير المشركين في " أيديهم وألسنتهم " يفيد كثرة هؤلاء المشركين الذين يضمرون العداوة والبغضاء للمسلمين .

٥ . الجمع بين "الأيدى " والألسنة " وتعلقهما بالفعل " يبسط " المسند إلي ضمير جماعة المشركين يوحى بعمق هذه العداوة وتمكنها من قلوب الكفار وأنها عداوة ذات وجهين أحدهما ظاهر وهو العداوة بالأيدى حيث الحرب والاقتتال في المعارك والآخر كامن في نفوسهم تظهره ألسنتهم بإلحاق كلام السوء بالمسلمين والنيل منهم ، كما يلمح من تقديم " الأيدى علي الألسنة رغبة المشركين القاطعة في إنهاء المسلمين وتدميرهم بالقتل والحرب ، وإنهم لدى عجزهم عن ذلك لا يتوقفون عن إيذائهم بالألسنة .

٦ . عطف قوله " وودوا لوتكفرون " علي جملة " ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء " وإيثار التعبير بالمضي في الفعل " ودوا " يؤخذ منه عدة دلالات منها : أن أغلي أمانى الكفار والهدف الأسمى من عداوتهم هو ارتداد المسلمين عن دينهم ومجافاتهم له ، وأن رغبتهم في كفر المسلمين موجودة حتى وإن لم يتمكنوا من الظفر بهم ، وأيضًا تصوير لبلوغ العداوة المتأصلة في نفوسهم مبلغا مؤداه رغبتهم

---

(١) ينظر : نظم الدرر٧ / ٥٥٢ ،

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٨ / ١٣٩ .

في حصول مضار الدنيا والدين جميعًا بالمسلمين ، فمن مضار الدنيا القتل والسلب ، والشتيمة والسب ، ومن مضار الآخرة الكفر وما يترتب عليه من عذاب وخلود في النار[١] .

سادساً : آية الفتح

وهى قوله تعالي :

﴿ سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [٢]

تحكي هذه الآية الكريمة موقف الأعراب الذين كانوا حول المدينة من أعراب بنى غفار ومزينة وأشجع وجهينة وأسلم حين استنفرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم للخروج معه عام الحديبية معتمرا فتخلفوا عن الخروج معه معتذرين بانشغالهم بالأموال والأهلون [٣].

وقد أضاف استعمال القرآن للجمع " ألسنتهم " وتعلقه بـ" يقولون " ملمحًا دلاليًا مهمًا يتجلي في فضح هؤلاء المتخلفين ودحض أعذارهم لأنها مجرد اعتلال بالكلام الظاهري غير المستند إلي حقيقة ، إذ الحقيقة أنهم لم يكن لديهم شغل مانع لهم من الخروج ، وليس عندهم نية لطلب الاستغفار وإنما يقولون ذلك كذبًا وزورًا علي سبيل المصانعة والتقية[٤] ، ولذا قال أهل المعاني[١] : إن الله عز وجل لا

---

(١) ينظر في ذلك : اللباب ١٩ / ١٢ ، البحر المديد ٨ / ٣١ ، وتفسير البيضاوى ١ / ٣٢٦ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥١ ، وفي ظلال القرآن ٤ / ٣ .

(٢) من الآية ١١ في سورة الفتح .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٢١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٩ / ٤٥ ، و تفسير البيضاوى ١ / ٢٠٢ .

(٤) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٢٤٨ ، والبحر المديد ٧ / ١٩٤ ، ونظم الدرر ٧ / ١٩٦ .

يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان ذلك القول زوراً كقوله تعالى : يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [٢] ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [٣] ، وقوله : كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ [٤] " .

(١) ينظر : تفسير الخازن ٦ / ١٩٢ ، و تفسير البغوى ٤/ ٣٨ .

(٢) من الآية ١٦٧ في سورة آل عمران .

(٣) من الآية ١١ في سورة الفتح .

(٤) من الآية ٥ في سورة الكهف .

المبحث الثانى :\

الجمع الموازن " فعلة " ونماذجه القرآنية

ورد علي هذا البناء في التنزيل العزيز ثلاثة ألفاظ هي " إخوة . ونسوة وفتية " موزعة علي سبعة مواضع ، و مقسمة إلي قسمين :

الأول : ما لوحظ فيه معنى القلة " وعدده لفظان هى " نسوة ، وفتية " وصلت بتكرار بعضها إلي ثلاثة ألفاظ إذ ورد " نسوة " في موضع واحد ، و " فتية في موضعين "

والآخر : ما لوحظ فيه معنى الكثرة وهو لفظ واحد وهو " إخوة " متكررًا في أربعة مواضع . وإلي دراسة كل :

القسم الأول

الجموع الملاحظ فيها معنى القلة

١ـ نسوة

ورد هذا الجمع في موضع واحد من الذكر الحكيم وهو قوله تعالي في سورة يوسف : " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُباً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ " (١)

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

النسوة بكسر النون بزنة " فعلة " جمع تكسير للقلة كالصبية والغلمة ، ولا واحد له من لفظه هذا هو المشهور فيه ، وعند أبي بكر بن السراج أنه اسم جمع وقال الزمخشري : النسوة : اسم مفرد لجمع المرأة ، وتأنيثه غير حقيقي باعتبار الجماعة ، ولذا لم تلحق فعله تاء التأنيث ، وقد تضم نونه في لغة فيكون إذ ذاك اسم جمع ، وتكسيره للكثرة على نسوان ، والنساء جمع تكسير للكثرة أيضاً ، ولا واحد له من لفظه .(٢).

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

تأتى هذه الآية الكريمة في معرض بيان ما كان من أمر نساء مصر وتحدثهن بما شاع وانتشر من خبر امرأة العزيز وافتنانها بفتاها يوسف ومروادتها له .

---

(١) من الآية ٣٠ في سورة يوسف عليه السلام .

(٢) ينظر : الأصول في النحو ١ / ١٧٤ ، والمحكم ٨ / ٦١٥ ، والمخصص ١ / ٣٣٥ ، المحيط ٥ / ٢٩٩ ، والدر المصون ١ / ٢٥٥١ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٢١ ، وتاج العروس ٤٠ / ٦٩ .

وقد تضمنت الآية الكريمة التعبير بجمع القلة " نسوة " الذي أضفي علي الآية وجوها دلالية نلمح منها ما يلي :

١ ـ التعبير بالجمع علي بناء القلة هنا متناسب مع عدد أولئك النسوة اللاتى خضن في هذا القول وتناقلنه ، فهن لم يتجاوزن العشرة ، وقد اختلف المفسرون في عددهن ، فالجمهور علي أنهن كن خمس نسوة ، امرأة حاجب الملك ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة الخباز ، وامرأة الساقي ، وامرأة صاحب السجن ، وعن الكلبي : أنهن كن أربعًا بإسقاط امرأة حاجب الملك [١].

٢ ـ التعبير بالجمع القليل يوحى برد الروايات التى تزعم أنهن كن أربعين لما تفيده صيغة الجمع من الدلالة علي أدنى العدد ، وبما علم من قرينة الحال من أن اللواتى تكلمن في هذا كن من أشراف بيوتات الدولة وذلك مقتض لقلة العدد أيضا،لأن نساء البيوت الوسطى فضلا عن الدنيا لا يستطعن الوصول إلي امرأة العزيز الذي هو كبير وزراء مصر بهذا المكر وتلك الحيلة[٢] .

٣ ـ اسناد القول إلي لفظ الجمع " نسوة " يشي بما جرت به العادة من تتبع الناس أخبار ذوى المناصب العليا وما يحدث لهم ، كما يوحى بكون النساء هن الأكثر ميلاً للحديث في مثل هذه الأمور التى يستقبح ذكرها ، وعدم كتمانها ، سيما والمتحدث في شأنها من طبقة الحكام والسادة .

٤ ـ تنكير الجمع المسند إليه القول مشعر بأن الغرض والمعول عليه هنا ليس أسماء النسوة اللاتى تناقلن هذا الحديث ولا صفاتهن ، ولكن الغرض التحقيق

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان البلخى ٢ / ١٤٦ ، وتفسير الخازن ٣ / ٢٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٧٦ ، ومفاتيح الغيب ١٨ / ١٠١ ، وبحر العلوم للسمرقندى ٢/١٩٠ وتفسير أبي السعود ٤ / ٢٧١ ، والبحر المديد لابن عجيبة الفاسي ٣ / ٣٧٨ .

(٢) تفسير المنار ١٢ / ٢٤٠ .

بانتشار هذا الخبر وشيوعه بين الناس في حديثهم حتى تناقلنه النسوة فيما بينهن [١] .

٢ ـ فتية

ورد هذا الجمع في التنزيل العزيز في موضعين هما علي الترتيب

الأول : قوله تعالي : " إِذْ أَوَى الفِتْيَةُ إِلَى الكَهْفِ[٢]

والثانى : قوله تعالي : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [٣]

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

فتية : جمع قلة مفرده " فتى " بزنة فعل " محركًا ، وأصل الفتى : الشاب والحدث ، ويطلق علي الكامل الجزل من الرجال ، وعلي السخى الجواد الكريم ، كما يوصف به الشيخ والمملوك ، ويجمع الفتى في الكثرة علي " فتيان " و" فتو " و " فتى " بضم الفاء وكسر التاء كعصي ، وفي القلة علي فتية بزنة " فعلة وهو من الجموع المسموعة في هذه اللفظة " [٤] .

---

(١) ينظر : نظم الدرر ٤ / ٣٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٨ / ٣٣٨ ، ومختصر تفسير البغوى ٤ / ١٤٣ ، وسلسلة التفسير لمصطفي العدوى ٩ / ٢٦ .

(٢) من الآية ١٠ في سورة الكهف .

(٣) من الآية ١٣ في سورة الكهف .

(٤) ينظر : العين ٨ / ١٣٧ ، ومقاييس اللغة ٤ / ٤٧٤ ، والمحكم ٩ / ٥٢٣ ، ولسان العرب ١٥ / ١٤٥ ، وتاج العروس ٣٩ / ٢٠٩ .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

تأتى هاتان الآيتان الكريمتان في سياق الحديث عن أصحاب الكهف وما كان من قصتهم التى ساقها القرآن الكريم للتدليل علي مطلق قدرته تعالي وأنه لا يعجزه شيء ، تلك الآية العجيبة من آيات الله التى لا تحصي .

وقد أكتسب النظم القرآنى روعة وبيانا باستخدام الجمع المفيد للقلة في قوله " فتية " الذي ألقي علي الآية ظلالا دلالية كثيرة ومتنوعة يمكن الإلماح إلي بعض منها علي النحو التالي :

١ ـ إيثار النظم القرآنى اختيار المادة اللغوية للجمع وهى " فتى "يوحى بما كان عليه هؤلاء من حداثة في السن مع تميزهم بجليل الصفات وعظيم الشمائل ، فلم تمنعهم حداثة السن من الانقياد لأمر الله وترك عبادة من دونه مما كان عليه أهل ملتهم ، فوصف الله تعالي لهم بالفتوة التى هى جماع مكارم الأخلاق للإيماء إلى ما فيهم من اكتمال خُلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي ، وثبات الجأش ، والدفاع عن الحق[١] .

يقول الشيخ اسماعيل حقي : " نسبهم إلي الفتوة ؛ لأنهم خاطروا بأرواحهم في طلب الحق فآمنوا بالله وكفروا بالطاغوت " [٢] ، وقيل : نسبوا إلي الفتوة لأنهم آمنوا بلا واسطة[٣] .

٢ ـ المادة اللغوية للجمع في السياق تفيد دلالة مهمة وهى : سرعة قبول الحق لدى الناشئة والصغار بما وهبه الله لهم في أصل الفطرة بخلاف الشيوخ والزمنى

---

(١) ينظر بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ١١٩٢ ، والتحرير والتنوير ٢٦٦/١٥ .

(٢) ينظر : روح البيان في تفسير القرآن ٢/ ٦١.

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي ٦ / ١٥٨ ، وتفسير السلمى ١ / ٤٠٣ .

ومما يعضد ذلك أن أكثر المستجيبين لدعوته صلي الله عليه وسلم كانوا من الشباب ، أما عامة شيوخ قريش فلم يسلم منهم إلا القليل ، فقوله " فتية " مشعر بكونهم شبابًا لا شيبًا ، وأنهم كانوا أترابا متقاربي السن ، بل يروى أنهم كانوا من أبناء الأشراف العظماء مطوقين مسورين بالذهب[١] ، حتى روى عن مجاهد أنه قال : " بلغنى أنه كان في آذان بعضهم القرطة يعنى الحلق " . [٢]

٣ ـ التعبير بالجمع علي صيغة بناء القلة وإيثاره عن صيغة الكثرة هنا يتناسب مع عدد هؤلاء الفتية وأنهم كانوا فيما دون العشرة علي اختلاف بين المفسرين في عددهم ، فمن قائل : إنهم كانوا سبعة واليه ذهب ابن عباس ، وروى عن ابن مسعود أنهم كانوا تسعة[٣] .

٤ . يلمح من التعبير بلفظ " فتية " في سياق القصة التعريض بمشركى مكة وتحريضهم علي الإيمان إذا عرفوا بقصة هؤلاء وما كان من أمرهم ، ففي قصتهم من الآيات والعبر ما يحمل علي الإيمان وعدم استبعاد إمكانية البعث بعد الموت بدليل حصوله لهم بعد عدة قرون .

---

(١) ينظر : تفسير الخازن ٤ / ٢٠٣ ، و تفسير ابن كثير ٥ / ١٤٠ ، ونظم الدرر ٤ / ٤٥٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٩٩ ، وأضواء البيان للشينقيطى ١٩ / ٣٢ ، تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ / محمد بن عبد الوهاب ١/ ٢٤٣ .

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير ٥ / ١٤٠ .

(٣) ينظر : تنوير المقباس ١ / ٣٠٨ ، والبحر المحيط ٦ / ١٠٩ ، ومراح لبيد لكشف معانى القرآن المجيد ١ / ٦٤٦ ، وتفسير السعدى ١ / ٤٧١ .

٥ . التعبير بالجمع " فتية " وإظهاره في مقام الإضمار دون التصريح بأسمائهم أو مدينتهم أو العصر الذي عاشوا فيه[١] ، إشارة إلي أن مناط العبرة من ذلك جملة قصتهم[٢] الدالة علي مطلق القدرة الإلهية علي البعث والإحياء بعد الموت ، ولذا يقول الإمام ابن كثير : " ويتأتى للمفسرين خلاف بسبب ما يذكرون في مثل هذا كأسماء أصحاب الكهف وغير ذلك مما أبهمه الله تعالي في القرآن مما لا فائدة تعود علي المكلفين في دينهم ودنياهم "[٣] .

٦ . وقوع الجمع " فتية " في جملة الخبر عن قوله " نحن نقص عليك نبأهم بالحق " فيه إشارة للنبي والمسلمين إلي عدم الالتفات إلي مقالات اليهود والنصاري في هؤلاء الفتية وأن مقالاتهم فيهم ما هى إلا رجم بالغيب وأنه تعالي هو العالم بعددهم وقصتهم ، وخص بهذا العلم عدد قليل من خلقه علي رأسهم نبيه محمدًا صلي الله عليه وسلم حتى قال ابن عباس " أنا من هذا القليل " وأن ما حكاه القرآن عنهم هو النبأ الحق [٤] .

٧ . ما يوحى به عطف قوله " وزدناهم هدى علي جملة " إنهم فتية آمنوا بربهم " من أن الطاعة وامتثال المأمور وترك المنهى سبب في زيادة الهدى والتوفيق من الله سبحانه كما أخبر تعالي عن ذلك في قوله " ويزيد الله الذين اهتدوا

---

(١) اختلف المفسرون في ذلك فقيل كانوا في عصر عيسي عليه السلام ، وقيل بعده ، وقيل في زمن ملك جبار يدعوا إلي عبادة الأوثان واسمه " دقيانوس " ، ينظر : اللباب ١٢ / ٤٣٨ والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٥٩ ، ومفحمات الأقران ٣٢ ، وأضواء البيان ٣ / ٢١٤.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ١ / ٦٦.

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير ١ / ٩١ .

(٤) ينظر : تنوير المقباس ١ / ٣٠٨ ، وتفسير الطبري ١٧ / ٦١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٩/١٠ .

هدى " [1].

القسم الثانى

الجموع الملاحظ فيها معنى الكثرة

١ ـ إخوة

ورد هذا الجمع في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي علي الترتيب المصحفي علي النحو التالي :

١. قوله تعالي : ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [2]

٢ . قوله تعالي : ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [3]

٣ . قوله تعالي : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [4]

٤ . قوله تعالي : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [5]

٥ . قوله تعالي : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [6]

الدراسة والتحليل

أ ـ التحليل اللغوى للجمع

---

(١) ينظر : أضواء البيان ١٩ / ٤٣ .

(٢) من الآية ١١ في سورة النساء

(٣) من الآية١٧٦ في سورة النساء

(٤) من الآية ٧ في سورة يوسف

(٥) من الآية ٥٨ في سورة يوسف

(٦) من الآية ١٠ في سورة الحجرات

إخوة " بزنة " فعلة " جمع قلة مفرده " أخ " ويطلق علي الأخ الذي من النسب . وهو الذي ولده أبوك أو ولدته أمك أو كلاهما . ، كما يطلق علي الأخ من الرضاعة والصديق والصاحب ، وأصل " أخ " أخو " بزنة " فعل " بفتح الفاء والعين واللام ، لأنه يجمع علي آخاء بزنة " أفعال " كأب وآباء ، والذاهب منه لام الكلمة وهى واو ؛ لأنك تقول في التثنية أخوان ، ويجمع في القلة علي " إخوة " بكسر الهمزة ، وأجاز الفراء ضمها وعند سيبويه " أخوة " بضم الهمزة اسم للجمع ، وحكى اللحيانى جمعه علي " أخوة " بضم الخاء وتشديد الواو المضمومة، لأن أصله عنده " أخو " بزنة " فعول " ثم لحقت هاء التأنيث بالجمع كما يجمع علي إخوان ، وقيل : يستعمل جمع " أخ " علي " إخوان " في الأصدقاء وعلي " إخوة " في النسب ، والصواب استعمالهما فيهما [1] .

ب ـ المعطيات الدلالية للجمع في السياق

أولاً : آيتى النساء

تأتى آيتي سورة النساء في سياق بيان الفرائض والمواريث التى شرعها سبحانه وتعالي ، وتختص الآية الأولي وهى قوله " فإن كان له إخوة فلأمه السدس " ببيان حالة خاصة من أحوال الإرث وهى الحالة التى يتفق فيها أن يترك الميت والدين " أبا وأما " وليس له ولد ، مع وجود إخوة له أشقاء كانوا أو لأب أو لأم ، ذكورا كانوا أو إناثا أو مختلطين ، فالنصاب الشرعي في هذا الحالة يكون بمنح الأم سدس تركة الميت ، ويكون الباقي للأب سدس عن طريق الفرض والباقي

(1) ينظر في ذلك : العين للخليل ٤/ ٣١٩ ، و الكتاب لسيبويه ٣ /٥٩٧ ، والأصول في النحو ٢ / ٤٤٩ ، وتهذيب اللغة ، والخصائص ١ / ٣٣٨ ، واللباب ٢ / ٣٧٣ ، وحاشية الخضري علي شرح ابن عقيل ٣ / ١٥٥ ، والهمع ٣ / ٤٩٩ ، ولسان العرب ١٤ / ١٩، وتاج العروس ٣٧ / ٤٥ ، ٤٦ ، والمعجم الوسيط ١ / ٩ .

بالتعصيب ، ولاشيء للإخوة لحجبهم بالأب ، فيكون الإخوة هنا قد حجبوا نصيب الأم من الثلث إلي السدس رغم حرمانهم من الإرث وهو ما عليه جمهور العلماء .

والمتأمل في النظم القرآنى البليغ وإيثار التعبير بالجمع علي بناء القلة " إخوة " يستطيع استظهار عدة دلالات علي النحو التالي :

١ ـ التعبير بلفظ الجمع " إخوة " يفهم منه عد حجب الأخ الواحد والأخت الواحدة لميراث الأم من الثلث إلي السدس في هذه الحالة؛ لأن المراد به الجمع لا الإفراد.

٢ ـ التعبير بالجمع علي بناء القلة ، ودخوله في العموم المستفاد من الشرط في قوله " فأن " يفيد حصول الحجب المذكور بأقل ما يمكن أن يطلق عليه جمعًا ، فالمراد مطلق الجمعية بغض النظر عن الكمية .

٣ ـ ما يشعر به ظاهر لفظ " إخوة " من اختصاصه بجمع المذكر يفيد عدم حصول الحجب في ميراث الأم إذا كان الإخوة إناثا وإليه ذهب بعض العلماء ، والجمهور علي إطلاق لفظ " الأخوة " علي الذكور والإناث من باب التغليب لأنه يعنى مطلق الأخوة .

٤ ـ نتيجة لاختلاف العلماء في أقل ما يطلق عليه لفظ الجمع فقد ترتب علي فهم دلالة الآية مذهبان :

الأول : مذهب حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس : أن المراد بلفظ " الأخوة " الجماعة وهو يصدق علي ما زاد علي الاثنين ؛ لأن أقل الجمع ثلاثة ، وعلي هذا فالأخوين لا يحجبان نصيب الأم من الثلث إلي السدس ، وأن شأنهما في ذلك شأن الأخ الواحد ، إذ الآية صريحة في الجمعية ، ولا ينبغى حملها علي معنى التثنية إلا بدليل ، ويروى عنه أنه اختصم في ذلك إلي عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقال : بم صار الأخوان يردان الأم من الثلث إلي السدس ، وإنما قال الله " فإن

كان له إخوة " والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة ".فقال عثمان : لا أستطيع رد قضاء قضي به من قبلي " .

الثانى : مذهب جمهور الصحابة والعلماء المجتهدين أن الأخوين ينقصان فريضة الأم من الثلث إلي السدس لأن أقل الجمع اثنان ، واستدلوا لذلك بأمور منها :

أ . إطلاق الجمع علي الاثنين أو نيابة لفظ الجمع عن الاثنين وارد في لغة العرب مستعمل نحو قوله تعالي : ﴿ **فقد صغت قلوبكما**[1] ﴾ فعبر بالجمع عن الاثنين ؛ لأن المراد عائشة وحفصة رضوان الله عليهما .

ب . أن معنى الجمع ضم شيء إلي شيء وهو موجود في حالة الأخوين ، وأن الشارع قد جعل الأختين في الميراث كالثلاث ، والبنتين كالثلاث فنزل الاثنين هنا منزلة الثلاثة في الحكم .[2].

أما الآية الثانية ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[3]

" فهى مسوقة لبيان صورة من صور الكلالة وهى : كون الميت يموت ولا يخلف ولدا ولا والدًا ، ويرثه إخوته الأشقاء أو لأب ، لما تقدم تقريره من ميراث الأخوة لأم وأنهم شركاء في الثلث ، ففي هذه الحالة يحكم لهؤلاء الإخوة للذكر مثل حظ الأنثيين ، ويزيد التعبير القرآنى بالجمع " إخوة " من التأكيد على مطلق الجمعية دون اعتبار العدد والكمية ، كما يفهم منه دخول الإناث في

---

(1) من الآية ٤ في سورة التحريم

(2) ينظر في ذلك : معانى القرآن للنحاس ٢/ ٣١ ، ونظم الدرر ٢ / ٢٢٠ ، والكشاف ٥١٤/١ ، وتفسير البغوى ٢ / ١٧٧ ، ومفاتيح الغيب ٩ / ١٧٤ ، وزاد المسير ٢ / ٢٧ وروح المعانى ٤ / ٢٢٥ ، وفي ظلال القرآن ٢ / ٦٠ ، وشرح آيات الوصية ١ / ٦٤ ، والتفسير الوسيط ١ / ٨٧٨ .

(3) من الآية ١٧٦ في سورة النساء

لفظ " الإخوة علي سبيل التغليب ويدل لذلك قرينة قوله " رجالا

ونساء " . [1]

ثانياً : آيتى يوسف

الأولي منهما في سياق تقرير ما في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وإخوته من العبر والعظات ، والثانية تصف مشهد قدوم إخوة يوسف إلي مصر طلبا للميرة ودخولهم عليه ، وقد استعمل النظم القرآنى فيهما جمع القلة " إخوة " الذي يلمح منه بيان العلاقة القوية التى تجمع بينهم وأنها علاقة النسب والدم ، وأن ما كان بينهم من أمور وأحوال رغم هذه العلاقة أدعى للدهشة والعجب والاستذكار والتدبر .

كما أن إضافة الجمع إلي ضمير يوسف في الأولي و إلي اسمه في الثانية يوحى خروج هذا البناء عن إرادة أدنى العدد واستعماله للدلالة علي مطلق الجمع.

ثالثا : أية الحجرات

قوله تعالي : ﴿ إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [2] .

تأتى هذه الآية الكريمة في مقام التعليل لما تقدمها من الأمر بالإصلاح بين الطائفتين المتناحرتين من المؤمنين ، وذلك قوله " وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا "[3] .

وقد أضفي استعمال النظم القرآنى للفظ " إخوة " المجموع علي بناء القلة عدة ومضات دلالية في الآية يمكن التقاطها علي النحو التالي :

١ ـ ليس المراد بالإخوة هنا الإخوة النسبية بل المراد بها الإخوة في الإيمان ، وهى كون المؤمنين علي سمت واحد وطريقة واحدة ، وهى أخوة نابعة من كون النبي

([1]) ينظر في ذلك : تفسير الطبري ٩ / ٤٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ٤٨٤ ، وروح المعانى ٦ / ٤٥ ، وتفسير البيضاوى ١ / ٢٨٥ ، وفتح القدير ١ / ٨٢٠ ، والتحرير والتنوير ٦٦/٦ .

([2]) من الآية ١٠ في سورة الحجرات .

([3]) من الآية ٩ في سورة الحجرات .

صلي الله عليه وسلم أب لجميع المؤمنين من جهة كونه أصلاً فيما يدعوا إليه من الإيمان الموجب للحياة الأبدية ، وهى الإخوة التى أمرت بها السنة في مرويات كثيرة منها قوله صلي الله عليه وسلم : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله " ، وقوله : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا " ، وقوله : " لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا . [١].

٢ ـ التعبير بلفظ الجمع " إخوة " يوحى بحصول هذه الأخوة وتحققها في مطلق ما يدل عليه لفظ الجمع بلا اعتبار للعدد والكمية .

٣ ـ التعبير بلفظ " الإخوة " يلمح منه الدلالة علي كون الأخوة في الإيمان من أقوى الصلات وأوثق العري وأن الإيمان قد عقد بين أهله والمنتسبين إليه مثل ما يكون بين الأخوة في النسب[٢] .

٤ ـ الأخوة الإيمانية أثبت من إخوة النسب ، لأنها لا تنقطع بخلاف أخوة النسب فإنها تنقطع بمخالفة الدين ومما يؤكد ذلك ما روى أن مصعب بن عمير لقي أخاه أبا عزيز في غزوة بدر وقد أسره صحابي يقال له أبو اليسر فقال له : اشدد علي أسيرك فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير ، فقال أخوه أبو عزيز : أهذه وصاتك بأخيك ؟ فقال مصعب : لست أخى إنما أخى هذا وأشار إلي أبي اليسر [٣] .

٥ ـ التعبير بلفظ " الإخوة " وعطف قوله " فأصلحوا " عليه يوحى بالحرص الكامل علي بقاء هذه اللحمة واتصالها وعدم وجود ما يعكر صفوها ، وأنها موجب

([١]) ينظر : تفسير ابن كثير ٧ / ٣٧٥ ، الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ١٢١ ، و ٩ / ٧٩ ، وتفسير البيضاوى ١ / ٣٦٤ .

([٢]) ينظر : تفسير الخازن ٦ / ٢٢٤ .

([٣]) ينظر : تفسير الشعراوى ١ / ٤٥٢ .

للإصلاح وداع إليه أصيل لما يترتب عليها من شيوع المحبة ونبذ الفرقة والاختلاف [١].

٦ . التعبير بلفظ " إخوة " فيه إشارة إلي أن التكاتف والتعاضد بين المسلمين ينبغي أن يكون قائما علي هذه الرابطة القوية من الأخوة الإيمانية دون غيرها من الروابط الأخري من قومية ، ومذهبية وعصبية وما إلي ذلك مما يموج التنادى به في عصرنا الحالي [٢].

(١) ينظر : في ظلال القرآن ٦ / ٤٩٨ .

(٢) ينظر : أضواء البيان ١٨ / ٧٨ .

الخاتمة

الحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن وهو علي كل شيء قدير، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه الهداة المهديين .

وبعد

فقد فرغت . بعون من الله وتوفيقه . من إخراج هذا البحث علي صورته السالفة بعد رحلة قضيتها في استظهار الأغراض والإشارات ، والأسرار الدلالية الكامنة في استخدام التعبير القرآنى لبنائي جمع القلة " أفعلة وفعلة " ، وقد خلصت منه إلي عدد من النتائج في مقدمتها ما يلي :

أولاً : تعدد وجوه الإعجاز اللفظى للقرآن الكريم وتشعب نواحيه مما يستلزم بذل المزيد من الجهد في الكشف عنها وبيانها .

ثانياً : المفردة القرآنية عامة في سياق آيات التنزيل العزيز مختارة ومنتقاة علي وجه يعجز معه تغييرها واستبدالها بغيرها وذلك من وجوه الإعجاز ، وهو ملحوظ في تباين الاستعمال القرآنى لألفاظ الجموع علي وجه العموم .

ثالثاً : بلغ عدد مرات ذكر بنائي " أفعلة وفعلة " في النظم القرآنى خمس وأربعون مرة ، منها ثماني وثلاثون مرة لبناء " أفعلة " وسبع مرات لبناء " فعلة .

رابعاً : لم يقتصر النظم القرآنى علي استعمال الجموع القياسية لبناء " أفعلة " بل تضمن أيضاً جموعًا علي " أفعلة " غير مقيسة نحو " أعزة ، وأذلة ، وأشحة ".

خامساً : استعمل النظم القرآنى جمع " الفؤاد " علي " أفئدة " في جميع المواضع القرآنية استغناء ببناء القلة عن الكثرة وضعًا ، حيث لم يسمع تكسيره في لغة العرب علي غير ذلك .

سادسًا : غلب علي النظم القرآنى استعمال جمع " لسان " علي ألسنة " بزنة " أفعلة " دون " ألسن " للإيحاء بغلبة لغة التذكير علي التأنيث في هذه اللفظة .

سابعًا :السياق من أكبر القرائن المحددة لمدلول كثير من صيغ الجموع القرآنية من جهتي القلة والكثرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

١. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر البوصيري . نشر / دار الوطن . الرياض . الأولي ١٩٩٩م .

٢. الآحاد والمثانى لأحمد بن عمرو الشيبانى . تحقيق / باسم فيصل أحمد الجوابره . نشر / دار الراية . الرياض . الأولي ١٩٩١ م .

٣. إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم " تفسير أبي السعود " ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . دون تاريخ .

٤. أسرار العربية لأبي البركات الأنباري . تحقيق د / فخر الدين صالح قدارة . ط / دار الجيل بيروت . دون تاريخ .

٥. الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج . تحقيق د / عبد الحسين الفتلي . ط / مؤسسة الرسالة بيروت . الثالثة ١٩٨٨م

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . للشيخ / محمد الأمين الشنقيطي . ط / دار الفكر بيروت ١٩٩٥م .

٧. إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش . ط / دار ابن كثير . دمشق . بيروت . ط / الرابعة ١٤١٥هـ .

٨. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للركن الأول من أركان الإيمان الستة للجربوع "رسالة دكتوراة " بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .١٠١٤هـ .

٩. أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري . نشر / دار الجيل . بيروت . الخامسة ١٩٧٩م .

حرف الباء

١٠. بحر العلوم : تفسير السمرقندى " تحقيق / د محمود مطرجي . ط / دار الفكر بيروت . دون تاريخ .
١١. البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان – تحقيق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ / علي محمد معوض . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولي ٢٠٠١م .
١٢. البحر المديد في التفسير لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الثانية ٢٠٠٢م .
١٣. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى . دون تاريخ .
١٤. بلاغة الكلمة في التعبير القرآنى . د / فاضل صالح السامرائي . ط / دار عمار . عمان الثانية ٢٠٠١م .

حرف التاء

١٥. تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار . ط / دار العلم للملايين الرابعة ١٩٨٤م
١٦. التحرير والتنوير في التفسير للطاهر بن عاشور . ط / دار سحنون . تونس ١٩٩٧م .
١٧. التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية للشيخ / محمد محى الدين عبد الحميد . دون تاريخ .
١٨. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبي . ط / مكتبة مشكاة الإسلامية . دون تاريخ .
١٩. التعريفات للجرجانى . تحقيق / إبراهيم الإبياري . ط / دار الكتاب العربي . بيروت . الأولي ١٤٠٥هـ .

٢٠. تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ / محمد بن عبد الوهاب . تحقيق / د / محمد بلتاجى . نشر / جامعة الإمام محمد بن سعود . الرياض . دون تاريخ .
٢١. تفسير البيضاوي . ط / دار الفكر بيروت . دون تاريخ .
٢٢. تفسير الثورى لسفيان بن سعيد بن مسروق الثورى . نشر / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولي ١٤٠٣هـ .
٢٣. تفسير الجلالين " المحلي والسيوطى " نشر / دار الحديث القاهرة . الأولي دون تاريخ .
٢٤. تفسير ابن أبي حاتم الرازى . تحقيق / سعد محمد الطيب . نشر / المكتبة العصرية . بيروت . دون تاريخ .
٢٥. تفسير السراج المنير لشمس الدين محمد بن أحمد الشربينى . ط / دار الكتب العلمية بيروت . دون تاريخ .
٢٦. تفسير السعدى " عبد الرحمن بن ناصر السعدى . تحقيق / عبد الرحمن بن معلا اللويحق . ط / مؤسسة الرسالة بيروت . الأولي ٢٠٠٠م .
٢٧. تفسير الصنعانى لعبد الرازق بن همام الصنعانى . تحقيق / مصطفي مسلم محمد . ط / مكتبة الرشد . الرياض . الأولي ١٤١٠هـ .
٢٨. تفسير القرآن لأبي المظفر السمعانى . تحقيق / ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عباس . نشر / دار الوطن . الرياض ٩٩٧م .
٢٩. تفسير القرآن الحكيم " تفسير المنار " للشيخ / محمد رشيد رضا . ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .
٣٠. " تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي " تحقيق / سامى محمد سلامة . ط / دار طيبة . الثانية ١٩٩٩م .
٣١. تفسير ابن القيم . جمع وترتيب / محمد أويس الندوى . دون تاريخ

٣٢. تفسير مقاتل بن سليمان البلخى . تحقيق / احمد فريد . ط / دار الكتب العلمية . بيروت ٢٠٠٣م .
٣٣. تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي . نشر / دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥م . .
٣٤. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . نشر / مكتبة الجمهورية العربية . دون تاريخ .
٣٥. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري . تحقيق / زكى رياض قاسم . ط / المكتبة التوفيقية .

حرف الجيم

٣٦. الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي . تحقيق / هشام سمير البخاري . نشر / عالم الكتب . الرياض ٢٠٠٣م .
٣٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن " تفسير الطبري " للإمام / محمد بن جرير الطبري . تحقيق / أحمد محمد شاكر . ط . مؤسسة الرسالة . بيروت الأولي ٢٠٠٠م .
٣٨. جامع الدروس العربية للشيخ / مصطفي الغلاييني . مكتبة مشكاة الإسلامية . دون تاريخ .
٣٩. الجامع الصحيح " صحيح الإمام مسلم " . ط / دار الجيل ودار الآفاق بيروت . دون تاريخ .
٤٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه " للإمام البخاري . تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر . نشر / دار طوق النجاة . الأولي ١٤٢٢هـ .
٤١. جمهرة اللغة لابن دريد . ط / المكتبة الثقافية . دون تاريخ .

٤٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي . نشر / مؤسسة الأعلمى . بيروت دون تاريخ .

حرف الحـاء

٤٣. حاشية الآجرومية لعبد الرحمن بن محمد العاصمى النجدى . دون تاريخ .

٤٤. حاشية الخضري علي شرح ابن عقيل علي الألفية . دون تاريخ

٤٥. حقائق التفسير " تفسير السلمى أبو عبد الحمن محمد بن الحسين السلمى . تحقيق / سيد عمران . ط / دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م .

حرف الخـاء

٤٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادى . تحقيق / محمد نبيل طريفي ، وأميل بديع يعقوب . نشر / دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٨م .

٤٧. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى . أ . د / محمد محمد أبو موسي . ط / مكتبة وهبة . السابعة . دون تاريخ .

٤٨. الخصائص لابن جنى – تحقيق – الدكتور : محمد على النجار – ط / عالم الكتب . بيروت . دون تاريخ .

حرف الدال

٤٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي .دون تاريخ .
٥٠. دور اللهجة في التقعيد النحوى دراسة إحصائية في ضوء همع الهزامع للسيوطى . إعداد . د / علاء اسماعيل الحمزاوى . جامعة المنيا .

حرف الراء

٥١. روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي . ط / دار إحياء التراث العربي . دون تاريخ .
٥٢. روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى . محمود شكري الألوسي ط / دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان . دون تاريخ .

حرف الزاى

٥٣. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى . ط / المكتب الإسلامى بيروت . الثالثة ١٤٠٤هـ .
٥٤. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعى للأزهري . تحقيق د / محمد جبر الألفي . ط . وزارة الوقاف بالكويت . الأولي ١٣٩٩هـ .
٥٥. الزهد لابن المبارك . تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمى . ط / دار الكتب العلمية بيروت . دون تاريخ .

حرف السين

٥٦. سنن الترمذي تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون . ط / دار إحياء التراث العربي بيروت . دون تاريخ .
٥٧. سنن أبي داوود . ط / دار الكتاب الهعربي بيروت . دون تاريخ .
٥٨. سنن ابن ماجه . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي . ط / دار الفكر بيروت . دون تاريخ .

حرف الشيـن

٥٩. شرح الآجرومية للشيخ / حسن حفظى . دون تاريخ .
٦٠. شرح الأشمونى علي ألفية ابن مالك . ط . مطبعة عيسي البابي الحلبي بمصر . دون تاريخ .
٦١. شرح آيات الوصية لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي . تحقيق د / محمد إبراهيم البنا . نشر / المكتبة الفيصلية مكة المكرمة . الثانية ١٤٠٥هـ .
٦٢. شرح الرضي علي الكافية . تحقيق / يوسف حسن عمر . ط / جامعة قار يونس ١٩٧٨ م .
٦٣. شرح شافية ابن الحاجب للرضي . تحقيق محمد نور الحسن وآخرون . ط / دار الكتب العلمية بيروت . دون تاريخ .
٦٤. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام . تحقيق / عبد الغنى الدقر . نشر / الشركة المتحدة للتوزيع دمشق . الأولي ١٩٨٤م .
٦٥. شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك . تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد . نشر / دار الفكر دمشق . الثانية ١٩٨٥م .
٦٦. شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام . تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد . القاهرة . الحادية عشر ١٣٨٣هـ .
٦٧. شرح النووى علي صحيح مسلم . ط / دار إحياء التراث العربي بيرت . الثانية ١٣٩٢هـ .

حرف الصاد

٦٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . تحقيق / شعيب الأرنؤوط . ط / مؤسسة الرسالة بيروت . الثانية ١٩٩٣م .
٦٩. صحيح مسلم . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي . دون تاريخ .

حرف العين

٧٠. علل النحو لأبي الحسن الوراق . تحقيق / محمود جاسم الدرويش نشر / مكتبة الرشد . السعودية ١٩٩٩م .

٧١. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق د / مهدى المخزومى ، ود / إبراهيم السامرائي . ط / دار ومكتبة الهلال . الأولي ٢٠٠٣م .

حرف الغين

٧٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى . تحقيق / الشيخ / زكريا عميرات . ط / دار الكتب العلمية بيروت . الأولي ١٩٩٦م

٧٣. غريب الحديث لابن الجوزى . تحقيق / عبد المعطى أمين قلعجى . ط . دار الكتب العلمية بيروت . الأولي ١٩٨٥م .

٧٤. غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروى . تحقيق / محمد عبد المعين خان . ط . دار الكتاب العربي بيروت . الأولي ١٣٩٦هـ .

٧٥. غريب القرآن للسجستانى . تحقيق / محمد أديب عبد الواحد . نشر / دار قتيبة ١٩٩٥م .

حرف الفاء

٧٦. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكانى . ط / دار الفكر بيروت . دون تاريخ .

٧٧. فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن لأبي يوسف محمد زايد ١٤٢٧هـ .

٧٨. في ظلال القرآن للشيخ / سيد قطب . دون تاريخ .

حرف الكاف

٧٩. الكتاب لسيبويه – تحقيق – عبد السلام محمد هارون – ط– دار الجيل – بيروت – الأولى – دون تاريخ .

٨٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري . تحقيق / عبد الرازق المهدى . نشر / دار إحياء التراث العربي بيروت . دون تاريخ .
٨١. الكشف والبيان لأحمد بن محمد أبو إسحاق الثعلبي . تحقيق الإمام / أبي محمد بن عاشور ، ومراجعة / نظير الساعدي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولي ٢٠٠٢م .
٨٢. كفاية المتحفظ في اللغة لابن الأجدابي . تحقيق / السائح علي حسين . نشر . دار إقرأ للطباعة طرابلس ليبيا . دون تاريخ .
٨٣. الكليات لأبي البقاء الكفوي " معجم في المصطلحات والفروق اللغوية " . تحقيق / عدنان درويش ، ومحمد المصري . ط / مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٩٩٨ م .

حرف اللام

٨٤. " لباب التأويل في معاني التنزيل " تفسير الخازن " " ط / دار الفكر العربي . بيروت ١٩٧٩م .
٨٥. اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري . تحقيق / غازى طليمات . ط / دار الفكر دمشق . الأولي ١٩٩٥م .
٨٦. اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي . تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض . ط / دار الكتب العلمية بيروت . الأولي ١٩٩٨م .
٨٧. لسان العرب لابن منظور الإفريقي . نشر / دار صادر بيروت . الأولي دون تاريخ .

٨٨. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل د / فاضل صالح السامرائي . ط / دار عمار . عمان . الثانية ٢٠٠١م .

٨٩. اللمع في العربية لابن جنى . تحقيق / فائز فارس . نشر / دار الكتب الثقافية . الكويت ١٩٧٢م .

حرف الميم

٩٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي . تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولي ١٩٩٣م .

٩١. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده . تحقيق / عبد الحميد هنداوى . نشر دار الكتب العلمية بيروت . الأولي ٢٠٠٠م .

٩٢. مختار الصحاح للرازى . عنى بترتيبه الشيخ / محمود خاطر . نشر / مكتبة لبنان . بيروت ١٩٩٥م .

٩٣. مختصر تفسير البغوى لعبد الله أحمد بن علي الزيد . نشر / دار السلام بالرياض . الأولي ١٤١٦هـ .

٩٤. المخصص لابن سيده . تحقيق / خليل إبراهيم جفال . ط / دار إحياء التراث العربي بيروت . الأولي ١٩٩٦م .

٩٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى . تحقيق / فؤاد علي منصور . ط / دار الكتب العلمية بيروت . الأولي ١٩٩٨م .

٩٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل . تحقيق / شعيب الأرنؤوط وآخرون . نشر / مؤسسة الرسالة بيروت . الثانية ١٩٩٩م .

٩٧. مسند أبي يعلي الموصلي . تحقيق / حسين سليم أسد . نشر / دار المأمون للتراث دمشق . الأولي ١٩٨٤م .

٩٨. المصنف في الأحاديث والآثار " مصنف ابن أبي شيبة " تحقيق / محمد عوامة . ط / الدار السلفية الهندية القديمة . دون تاريخ .
٩٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوى " . تحقيق / محمد عبد الله النمر وآخرون . ط / دار طيبة للنشر . الرابعة ١٩٩٧م .
١٠٠. معانى القرآن للفراء . تحقيق / محمد علي النجار وآخرين . ط / الدار المصرية للتأليف والترجمة مصر . دون تاريخ .
١٠١. معانى القرآن للنحاس . تحقيق / محمد علي الصابونى . نشر / مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة . الأولي ١٩٨٨م .
١٠٢. المعجم الكبير للطبرانى . تحقيق / حمدى بن عبد المجيد السلفي . نشر / مكتبة العلوم والحكم بالموصل . الثانية ١٩٨٣م
١٠٣. المعجم الوسيط إعداد / مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
١٠٤. مفاتيح الغيب " التفسير الكبير للرازى . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولي ٢٠٠٠م .
١٠٥. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطى . دون تاريخ .
١٠٦. مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهانى ط / دار القلم دمشق . دون تاريخ .
١٠٧. المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري . تحقيق د / علي أبو ملحم . ط مكتبة الهلال بيروت . الأولي ١٩٩٢م .
١٠٨. مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق / عبد السلام محمد هارون . ط / دار الفكر ١٩٧٩م .
١٠٩. المقتضب صنعة أبي العباس المبرد . تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة .

١١٠. مناهل العرفان في علوم القرآن . للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى . تحقيق / مكتب البحوث والدراسات . ط / دار الفكر بيروت . الأولي ١٩٩٦م .

حرف النون

١١١. النحو الوافي للأستاذ / عباس حسن . نشر / مكتبة مشكاة الإسلامية دون تاريخ .

١١٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى . تحقيق / عبد الرازق غالب المهدى . ط / دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩٥م .

١١٣. النكت والعيون " تفسير الماوردى . لعلي بن محمد الماوردى البصري . تحقيق / السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ط / دار الكتب العلمية بيروت . دون تاريخ .

١١٤. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطى . تحقيق / عبد الحميد هنداوى . نشر المكتبة التوفيقية . مصر. دون تاريخ .

حرف الواو

١١٥. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعلي بن أحمد الواحدى . ملفات وورد بالمكتبة الشاملة .